المَثَل الإيجابي والمَثَل السلبي في القرآن الكريم وأثرهما في تربية النفوس

إعداد

د / عمر عبد العزيز علي محمد سالم

مدرس التفسير وعلوم القرآن بكلية أصول الدين والدعوة بطنطا

المثل الإيجابي والمثل السلبي في القرآن الكريم وأثرهما في تربية النفوس

عمر عبد العزيز علي محمد سالم .

قسم التفسير وعلوم القرآن، كلية أصول الدين بطنطا، جامعة الأزهر، مصر.

البريد الإلكتروني: omarabdelazizsalim@gmail.com

الملخص:

المتدبر للأمثال المضروبة في القرآن الكريم يجد أن القرآن قد اتخذ في ضرب الأمثال اتجاهين: الأول: التعرض لبعض الإيجابيات في العقائد والأحكام والأخلاق وغيرها وتصويرها في صورة مَثَل يُخْرج المعقول في صورة المشاهَد المحسوس، ترسيخًا لهذه الإيجابيات وحث الناس على فعلها. الثاني: التعرض لبعض السلبيات في العقائد والأحكام والأخلاق وغيرها وتصويرها في صورة مَثَل يُخْرج المعقول في صورة المشاهَد المحسوس، تنفيرًا من هذه السلبيات، وتحذيرًا من ارتكابها، فجاءت هذه الدراسة لتلقي الضوء على نماذج من هذه الأمثال وما فيها من دروس تربوية نافعة، وإشارات وأسرار بديعة يدركها المتأمل والمتدبر لكتاب الله تعالى، وقد تكون البحث من مقدمة وتمهيد ومبحثين، المبحث الأول: المثل الإيجابي في القرآن وأثره في تربية النفوس، المبحث الثاني: المثل السلبي في القرآن وأثره في تربية النفوس. وخاتمة فيها أهم ما توصل إليه الباحث من نتائج، وبعض المقترحات، وأهم المصادر والمراجع وفهارس علمية.

المنهج: اتبعت في هذا البحث المنهج الاستقرائي، والمنهج التحليلي.

النتائج: **أولًا** : الأمثال السلبية تقارب ضعف الأمثال الإيجابية في القرآن، وفي ذلك تحذير من هذه السلبيات، وترهيب لهذه الفئات السلبية لترك ما هم عليه، وترغيب لهم في الاستماع إلى دعوة القرآن والإيمان به وبرسول الله ﷺ وما جاء به من كتاب وسنة، والعاقل إذا سمع الأمثال بان له الحق. ثانيًا: الأمثال الإيجابية المضروبة في القرآن الكريم وردت لتقريب ما غاب عن الإنسان وتصوير المثل في صورة المحسوس المشاهد كبعض السمعيات مثل الجنة وضرب المثل لنور الله تعالى، وكشأن الخلق وضرب المثل للحق والباطل ونحو ذلك .

ثالثًا: ورد في بعض المواطن ذكر المثل الإيجابي وإردافه بنظيره السلبي أو العكس، وذلك ليقارن العقلاء بين هذا وذاك، ويقوموا بفعل ما ينفعهم عند ربهم.

التوصيات: الاهتمام بالدراسات التطبيقية في القرآن الكريم؛ لإبراز جوانب الإعجاز فيه، وحاجة المجتمع إلى الوقوف على أسرار وهدايات القرآن الكريم .

الكلمات المفتاحية: الأمثال – المَثَل الإيجابي – المَثَل السلبي – تربية النفوس.

The positive and negative ideals in the Qur'an and their impact on raising souls.

Omar Abdul Aziz Ali Mohammed Salem.

Department of Tafsir and Quran Sciences, Faculty of asoul al-Din in Tanta, Al-Azhar University, Egypt .

E-mail address: omarabdelazizsalim@gmail.com

Abstract:

The forewarner of the parables multiplied in the Qur'an finds that the Qur'an has taken in multiplying Proverbs two directions: the first: exposure to some positives in the doctrines, judgments, morals and others and portray them in a picture such as the reasonable comes out in the image of the viewer perceived, to consolidate these positives and urge people to do them. This study came to shed light on examples of these proverbs and their useful educational lessons, and wonderful references and secrets that the meditator and meditator of the book of Allah, may be the introduction and preface of two researchers, the first topic: the positive proverb in the Qur'an and its impact on the education of Souls, the second topic: the negative proverb in the Qur'an and its impact on the education of Souls. A conclusion in which the most important findings of the researcher, some proposals, and the most important sources and references and scientific indexes .

Method: in this research, the inductive method and the analytical method were followed.

The results : first: negative Proverbs almost double the positive proverbs in the Qur'an, and this is a warning against these negatives, and intimidation for these

negative groups to leave what they are, and enticing them to listen to the call of the Qur'an and believe in it and the messenger of Allah.and what came out of the book and Sunnah, and the wise person if he hears the proverbs that he has the truth. Second: the positive Proverbs multiplied in the Holy Qur'an are received to approximate what is missing from Man and portray the proverb in the image of the perceived viewer such as some auditions such as Paradise and the example of the light of God, and like creation and the example of truth and falsehood and so on .

Third: it is mentioned in some citizens to mention the positive ideal and its negative counterpart or vice versa, so that the wise compare this and that, and do what will benefit them when their Lord .

Recommendations: attention to Applied Studies in the Holy Quran; to highlight the miraculous aspects of it, and the need of society to stand on the secrets and gifts of the Holy Quran.

Key words: Proverbs - positive proverb – negative proverb-raising souls.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، ضرب الأمثال في كتابه المحكم المبين؛ ليعقلها العالمون، ويأخذ الناس منها الدروس والعظات، فتهديهم إلى الحق وإلى طريق مستقيم، والصلاة والسلام على من بعثه الله هاديًا وسراجًا منيرًا، فأنار الطريق، وأرشد إلى الحق وإلى صراط مستقيم، وبعد ...

فإن القرآن هو كتابُ الله، وحبله المتين، وهو المُعْتَصَم لمن أراد النجاة في دار الخلود، معينه لا ينضب ، وعطاؤه لا ينفد على كثرة الرد، وفيضه يتدفق، مهما درسه الدارسون، وتدبره المتدبرون، ونهل منه الناهلون .

لا يزال مهوى قلوب المسلمين منذ أن نزلت أولُ شعاعة منه، يتدارسونه وينهلون من ينبوعه الصافي، ويتدبرونه ويستخرجون حِكَمَه، ويستنبطون أحكامه، ويكشفون وجوه بلاغته، وصور بيانه، وأساليب نظمه، ويخرجون وقد ارتووا وما بلغوا منه مبلغًا ، وما أتوا إلا على القليل منه وهو كثير .

وأمثال القرآن من أعظم أبواب علوم القرآن، لما اشتملت عليه من بلاغة عالية، ومواعظ وعبر ، لا يعقلها إلا العالمون.

والناظر في أمثال القرآن الكريم يرى بوضوح لا خفاء فيه أن القرآن قد عرض جانبي الإيجابيات والسلبيات لطوائف وأفعال مختلفة، فعرض طرفًا من الإيجابيات لبعض الطوائف والأفعال التي يقوم بها العباد في صورة أمثال؛ ليرشد إلى فعلها وسلوك طريقها، وعرض طرفًا من السلبيات لبعض الطوائف والأفعال التي يقومون بها في صورة أمثال ليحذرها العاقل ويبتعد عنها المؤمنون.

ومن هنا كانت أهمية هذا البحث وفكرته في الأمثال القرآنية بصورة تطبيقية على بعض أمثال القرآن الكريم.

الدراسات السابقة :

لم أقف فيما وقفت عليه من دراسات قرآنية على دراسة تتعلق بهذا الجانب التطبيقي في موضوع الأمثال القرآنية (المثل الإيجابي والمثل السلبي في القرآن وأثرهما في تربية النفوس)، أما ما يتعلق بعلم الأمثال بصفة عامة فقد تحدثت عنه كتب علوم القرآن، ومؤلفات أخرى في الأمثال خاصة كأمثال القرآن وصور من أدبه الرفيع للشيخ عبد الرحمن حبنكه الميداني، وأمثال القرآن للماوردي وغيرها .

أسباب اختيار الموضوع:

١-تنوعُ الأمثال المضروبة في القرآن للترغيب في الأمور الإيجابية، والتحذير من الأمور السلبية، وثراؤها وغزارة دلالاتها الأدبية والبلاغية وقيمها التربوية

٢-عدم الوقوف على دراسة في هذا الموضوع فأحببت أن أخوض غماره.

٣-الوقوف على جانب من الجوانب التربوية في الأمثال القرآنية، والكشف عن آثارها الفاعلة في النفس البشرية .

٤-أهمية علم الأمثال والحاجة إلى دراسته لينتفع بها الناس في حياتهم.

٥-أهم دراسة الجوانب التطبيقية في القرآن الكريم .

منهج البحث :

اقتضت طبيعة البحث أنَّ أسلك فيه منهجين :

الأول : المنهج الاستقرائي : وهو " استنتاج قضية عامة من قضايا جزيئة ، أو هو الذي ينطلق فيه الفكر من التخصيص إلى التعميم ، أو من تتبع بعض الحالات إلى بلوغ كل الحالات"([1])

وقد قمت باصطفاء بعض النماذج من الأمثال المصرح بها دون غيرها من الكامنة والمرسلة؛ لأنها الصريحة في ذكر المثل دون غيرها.

الثاني : المنهج التحليلي : و" هو منهج يقوم على دراسة الإشكالات العلمية المختلفة تفكيكًا أو تركيبًا أو تقويمًا "([2]) ، وذلك لشرح الألفاظ وتحليلها وبيان أسرار ورودها على هذا النحو .

خطة البحث:

مقدمة : وفيها بينت أهمية الموضوع ، وأسباب اختياره ، والدراسات السابقة في الموضوع ، وخطة البحث ، ومنهجي في البحث .

تمهيد : ويشتمل على ما يلي

أولًا : التعريف بمفردات البحث

ثانيًا : أقسام المَثَل في القرآن

---

[1] – منهجية البحث العلمي وضوابطه في الإسلام للدكتور حلمي صابر ، ص (٧٤) ، ط : مكة المكرمة – رابطة العالم الإسلامي ، الطبعة الأولى (١٤١٨هـ) .

[2] – أبجديات البحث في العلوم الشرعية للدكتور فريد الأنصاري ص (٩٦) ، ط : الدار البيضاء ، الطبعة الأولى (١٤١٧هـ) .

ثالثًا : الغرض من المثل

رابعًا: فوائد ضرب الأمثال

المبحث الأول : المَثل الإيجابي في القرآن الكريم وأثره في تربية النفوس

وفيه ثلاثة مواضع :

الموضع الأول: ضَرْبُ المثل بما يؤدي الغرض عظيمًا كان المثل المضروب أو حقيرًا .

الموضع الثاني: ضرب المثل لمضاعفة أجر الإنفاق في سبيل الله.

الموضع الثالث : ضرب المثل للإيمان بالكلمة الطيبة .

المبحث الثاني: المَثل السلبي في القرآن الكريم وأثره في تربية النفوس .

وفيه أربعة مواضع:

الموضع الأول : ضرب المثل للنفاق وأهله .

الموضع الثاني : ضرب المثل للمبطلين صدقاتهم.

الموضع الثالث: ضرب المثل للكفر بالكلمة الخبيثة.

الموضع الرابع: ضرب المثل لمن اتخذ وليًا من دون الله ببيت العنكبوت.

وأخيرًا الخاتمة وبها أهم النتائج والتوصيات ثم الفهارس العلمية .

والحمد لله أولًا وآخرًا ، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

تمهيد

ويشتمل على ما يلي

أولًا : التعريف بمفردات البحث

ثانيًا : أقسام المَثَل في القرآن

ثالثًا : الغرض من المثل

رابعًا: فوائد ضرب الأمثال

أولًا : التعريف بمفردات البحث

أ- تعريف المثل:

تعريف المثل لغة: "المَثَلُ: الشيء يُضربُ للشيء فيُجعل مِثْلَه، والمَثَل: الحديث نفسه، وأكثر ما جاء في القرآن نحو قوله ﷻ : ﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ ﴾ [محمد: ١٥]، فمثلها هو الخبر عنها.

وكذلك قوله ﷻ: ﴿ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ﴾ [الحج: ٧٣] ، ثمّ أخبَرَ: إنَّ الذين تَدعونَ من دونِ اللهِ، فصارَ خَبَرُه عن ذلك مَثَلاً، ولم تكن هذه الكلماتُ ونحوُها مَثَلاً ضُرِبَ لشيءٍ آخر، كقوله ﷻ:﴿ كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ ﴾ [الجمعة: ٥]، والتَّمثيل: تصويرُ الشيءِ كأنَّه تنظُر إليه . "(١)

وجاء في لسان العرب :"والمَثَلُ: الحديثُ نفسُه، ومنه قوله ﷻ: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ [النحل: ٦٠] ؛ جَاءَ فِي التَّفْسِيرِ: أَنه قَوْلُ لَا إِله إِلَّا اللَّهُ، وتأْويلُه أَن اللَّهَ أَمَر بِالتَّوْحِيدِ ونَفى كلَّ إِلهٍ سِواهُ، وَهِيَ الأَمثال؛ قَالَ ابْنُ سِيدَهْ: وَقَدْ مَثَّلَ بِهِ وامْتَثَلَهُ وتَمَثَّلَ بِهِ وتَمَثَّله.

والمَثَلُ: الشَّيْءُ الَّذِي يُضرَب لِشَيْءٍ مِثْلًا فَيَجْعَلُ مِثْلَه، وَفِي الصِّحَاحِ: مَا يُضرَب به مِن الأَمْثال.

---

١ – كتاب العين للخليل بن أحمد (٨/٢٢٨،٢٢٩)، مادة: (مثل) تحقيق: د/ مهدي المخزومي، د /إبراهيم السامرائي، ط: دار ومكتبة الهلال، بدون تاريخ .

قَالَ الْجَوْهَرِيُّ: ومَثَلُ الشَّيْءِ أَيضاً صِفَتُهُ. قَالَ ابْنُ سِيدَهْ: وَقَوْلُهُ ﷻ: ﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ [محمد: ١٥]، قيل: مَثَلُها هُوَ الْخَبَرُ عَنْهَا، وقيل: مَعْنَاهُ صِفة الْجَنَّةِ، ومنه قوله ﷻ: ﴿ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ ﴾ [الفتح: ٢٩] ، أَي صِفَتُهم.

وللنَّحْوِيّين في قوله: ﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ ، قولٌ آخر، وهو أن التَّقْدِير: فِيمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ مَثَلُ الْجَنَّةِ ثُمَّ فِيهَا وَفِيهَا، ومَنْ قَالَ إِن مَعْنَاهُ صِفةُ الجنةِ فَقَدْ أَخطأَ؛ لأَن مَثَل لَا يُوضَعُ فِي مَوْضِعِ صِفَةٍ، إنما يُقَالُ: صِفَةُ زَيْدٍ إنه ظَرِيفٌ وإنه عاقلٌ. وَيُقَالُ: مَثَلُ زَيْدٍ مَثَلُ فُلَانٍ، إنما المَثَل مأْخوذ مِنَ المِثال والحَذْوِ، والصفةُ تَحْلِية ونعتٌ. وَيُقَالُ: تَمَثَّلَ فلانٌ ضَرَبَ مَثَلًا، وتَمَثَّلَ بِالشَّيْءِ ضَرَبَهُ مَثَلًا. وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ:﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ ﴾ [الحج: ٧٣]؛ وَذَلِكَ أَنهم عَبَدُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَسْمَع وَلَا يُبْصِر وَمَا لم ينزل بِهِ حُجَّة، فأَعْلَم اللهُ الجوَاب ممَّا جَعَلُوهُ لَهُ مَثَلًا ونِدًّا فَقَالَ: إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُباباً؛ يَقُولُ: كَيْفَ تكونُ هَذِهِ الأَصنامُ أَنْداداً وأَمثالًا للهِ وَهِيَ لَا تخلُق أَضعفَ شَيْءٍ مِمَّا خَلَقَ اللهُ وَلَوِ اجْتَمَعُوا كلُّهم لَهُ، وإِن يَسْلُبْهُم الذُّبابُ الضعيفُ شَيْئًا لَمْ يخلِّصوا المَسْلوبَ مِنْهُ، ثُمَّ قَالَ: ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ.

وَقَدْ يَكُونُ المَثَلُ بِمَعْنَى العِبْرةِ؛ وَمِنْهُ قَوْلُهُ ﷻ: ﴿ فَجَعَلْنَـٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْـَٔاخِرِينَ ﴾ [الزخرف: ٥٦] ، فَمَعْنَى السَّلَفِ أَنا جَعَلْنَاهُمْ متقدّمين يَتَّعِظُ بِهِمُ الغابِرُون، وَمَعْنَى قَوْلِهِ وَمَثَلًا أَي عِبْرة يعتبِر بِهَا المتأَخرون.

وَيَكُونُ المَثَلُ بِمَعْنَى الآيةِ؛ قَالَ اللَّهُ ﷻ فِي صِفَةِ عِيسَى، عَلَى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ:﴿ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ [الزخرف:٥٩]، أَي آيَةً تدلُّ عَلَى نُبُوّتِه.([1])

مما سبق يتبين أن المَثَل يطلق في اللغة ويراد به الشَّيْءُ الَّذِي يُضرَب لِشَيْءٍ مِثْلًا فَيَجْعَلُ مِثْلَه، ويطلق ويراد به الحديث نفسه، ويطلق ويراد به الصفة ، ويطلق ويراد به العبرة، ويطلق ويراد به الآية .

المَثَلُ في الاصطلاح:

المَثَل وسيلة من وسائل الإقناع، ولقد تنوعت عبارات العلماء في بيان حقيقته ، فقال الزمخشري:"والمثل في أصل كلامهم بمعنى المِثْل وهو النظير، يقال مَثَل ومِثْل ومثيل كشبه وشبه وشبيه، ثم قيل للقول السائر الممثل مضربه بمورده"([2]).

---

[1] – لسان العرب، لابن منظور (٦١٢،٦١١/١١)، مادة: (مثل) ، ط: دار صادر، (الطبعة الثالثة – ١٤١٤ هـ).

[2] – تفسير الكشاف للزمخشري (١٩١/١)، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرين، ط: مكتبة العبيكان، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى (١٤١٨هـ–١٩٩٨م) .

ومضرب المثل: هو ما يضرب فيه ثانيًا مثلا لمورده ، ومورده هو ما ورد فيه أولًا. ينظر الكليات لأبي البقاء الكفوي ص (٥٧٣)، (٨٦٧/١)، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري، ط: مؤسسة الرسالة – بيروت، بدون تاريخ.

وعرفه الزركشي فقال : " وحقيقته إخراج الأغمض إلى الأظهر "([1]).

وعرفه الفيروزآبادي فقال : " والمَثَل: عبارة عن قول في شيء يشبه قولاً في شيء آخر بينهما مشابهة، ليبيّن أَحدهما الآخر ويصوّره، نحو قولهم: الصيف ضيَّعتِ اللَبَنَ؛ فإن هذا القول يشبه قولك: أَهملت وقت الإمكان أَمرَكِ."([2])

وفي كتب الأدب المثل هو:" القول السائر المشبه مضربه بمورده فهو يقصد به تشبيه الحال التي حكي فيها بالحال التي قيل بسببها"([3])

من خلال هذه التعريفات، المتقاربة في المعنى، يتبين أن المثل عبارة عن تشبيه حال وقعت بحال سبقت فقيل بسببها المثل، وذلك لإخراج الحال الواقعة من الأغمض إلى الأظهر – وهي مورد المثل المعروف – وذلك لأن

---

١ – البرهان في علوم القرآن، للزركشي (٤٨٦/١)، النوع الحادي والثلاثون: معرفة الأمثال الكائنة فيه، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، الطبعة الأولى (١٣٧٦ هـ – ١٩٥٧ م).

٢ – بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، للفيروزآبادى (٤٨٢/٤)،بصيرة في مثل، تحقيق: محمد علي النجار، ط: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

٣ – ينظر زهر الأكم في الأمثال والحكم، للحسن بن مسعود بن محمد، أبو علي، نور الدين اليوسي(٢٠/١)، تحقيق: د/محمد حجي، د /محمد الأخضر، ط: الشركة الجديدة – دار الثقافة، الدار البيضاء – المغرب، الطبعة الأولى (١٤٠١ هـ – ١٩٨١ م)، في تاريخ الأدب الجاهلي، لعلي الجندي(٢٦٠/١)، ط: مكتبة دار التراث، الطبعة الأولى(١٤١٢هـ – ١٩٩١م).

المثل إنما سمي مثلا لأنه "ماثلٌ بخاطر الإنسان أبدًا أي شاخِصٌ فيتأسَّى به ويتَّعظ ويخشى ويرجو "([1])

ب – تعريف المثل الإيجابي والمثل السلبي :

الْإِيجَاب لُغَة: "الْإِثْبَات، وَالْكَلَام الْمُوجب، بِفَتْح الْجِيم: مَعْنَاهُ الْكَلَام الَّذِي اعْتبر فِيهِ الْإِيجَاب أَي الحكم بالثبوت."([2])

والإيجابيَّات: "كلُّ ما يصدُر من أمور ناجحة."([3])

وَاصْطِلَاحا عِنْد أهل الْكَلَام: "صرف مُمكن من الْإِمْكَان إِلَى الْوُجُوب، والإيجاب صفة كَمَال بِالنِّسْبَةِ إِلَى صِفَات الله "([4])

والإيجاب: "هو إيقاع النسبة."([5]) أي ثبوت الحكم، كقولنا: زيد قائم، فإيقاع النسبة هو ثبوت القيام لزيد.

---

١ – البرهان في علوم القرآن (٤٨٧/١)، النوع الحادي والثلاثون: معرفة الأمثال الكائنة فيه.

٢ – الكليات لأبي البقاء الكفوي ص (٢١٨)، (٨٦٧).

٣ – معجم اللغة العربية المعاصرة (٢٤٠٠/٣) للدكتور أحمد مختار عبد الحميد عمر بمساعدة فريق عمل، ط: عالم الكتب، الطبعة الأولى (١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م) .

٤ – الكليات (٢١٨/١) .

٥ – التعريفات للجرجاني ص (٤١)، تحقيق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، ط: دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، الطبعة الأولى (١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م).

والسالب لغة : "سلبت الشيء سلبًا. والاستلاب: الاختلاس"([1])، و"السين واللام والباء أصل واحد، وهو أخذ الشَّيء بخفَّة واختطافٍ"([2])

والسالب: "الَّتِي سلبت وَلَدهَا، أَو الَّتِي أسقطت، و(فِي الرياضة والطبيعة) اتجاه مضاد للاتجاه الْمُوجب"([3]).

والسلب: "انتزاع النسبة."([4]) أي نفي الحكم، كقولنا ما قام زيد، فانتزاع النسبة هو سلب القيام عن زيد.

"ربما يذهب الوهم إلى أن كل قضية تشتمل على حرف السلب تكون سالبة، فقد عرفت أن الإيجاب هو إيقاع النسبة ، والسلب هو رفعها، فالعبرة في كون القضية موجبة وسالبة بإيقاع النسبة ورفعها لا بطرفيها، فمتى كانت النسبة واقعة كانت القضية موجبة، وإن كان طرفاها عدميين، كقولنا: (كل ما ليس بحي فهو لا عالم)، فإن الحكم فيها بثبوت اللاعالمية لكل ما صدق عليه أنه ليس بحي، فتكون موجبة وإن اشتمل طرفاها على حرف السلب.

ومتى كانت النسبة مرفوعة فهي سالبة، وإن كان طرفاها وجوديين، كقولنا: (لا شيء من المتحرك بساكن)، فإن الحكم فيها بسلب الساكن عن

---

[1] – الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري(١٤٨/١)، مادة: سلب، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط: دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة الرابعة (١٤٠٧هـ – ١٩٨٧ م).

[2] – معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٩٢/٣)، مادة: سلب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط: دار الفكر، (١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

[3] – المعجم الوسيط(٤٤١/١)، ط: دار الدعوة .

[4] – التعريفات للجرجاني ص (١٢١).

كل ما صدق عليه المتحرك، فتكون سالبة، وإن لم يكن في شيء من طرفيها سلب، فليس الالتفات في الإيجاب والسلب إلى الأطراف بل إلى النسبة."([1])

و"الإيجاب والسلب متناقضان أو مختلفان تمامًا، سواء في مفهومنا النظري، أو في استخدامنا اليومي العملي، والإيجاب تلخصه كلمة (نعم)، بينما السلب تلخصه كلمة (لا) ف أبسط المظاهر العملية التي نمارسها.

ويمتد هذا الفهم إلى نواح متعددة في حياتنا ، فنقول مثلًا فلان سلبي وفلان إيجابي ، وكذلك نقول هذا العمل سلبي أو إيجابي، وبالوصف ذاته نصف نتائج الاختبار في أي مجال، فكأن الإيجاب مرتبط بالوجود وبالأفعال (الإيجابية) التي تعزز هذا الوجود، بينما السلب مرتبط بالعدم وبالأفعال (السلبية) التي تدمر هذا الوجود، هذا من ناحية المبدأ؛ إذ لا دخل هنا للإيجابية بمعنى المنفعة أو السلبية بمعنى الضرر، فالنتيجة الإيجابية(positive) في بعض الفحوص المخبرية الطبية مثلا يكون معناها أن المرض موجود، بمعنى أن جراثيمه موجودة وناشطة، وهذا شيء ضار، ولذا فهو (سلبي) من الناحية القيمية، وبعكس ذلك تمامًا النتيجة السلبية (negative) للفحص المخبري، حيث تعني عدم وجود المرض؛ لأن جراثيمه غير موجودة، وبالتالي فالأمور إيجابية من الناحية القيمية أو الفعلية.

[1] – تحرير القواعد المنطقية في شرح الرسالة الشمسية لقطب الدين الرازي ص (١٩٩)، باختصار يسير، ط: دار الكتب العلمية، بدون تاريخ .

ومن هنا نستطيع تعريف السلب بأنه نفي وجود الشيء من ناحية عامة، وكذلك يمكن أن نقول بأن كل فعل يميل إلى تعزيز هذا النفي فهو من السلبيات؛ لأنه – بمعنى آخر يدعو إلى الهدم أو إلى التدمير.

ولكن المعنى الغالب على معنى (الإيجابية) في حياتنا العملية أنها خير من الناحية القيمية الفعلية، وبالتالي فالإنسان الإيجابي هو النشيط الذي يتفاعل مع مجتمعه أو مع بيئته إجمالًا ولا يعتزل أو يتقوقع، وهذا عكس الإنسان السلبي."([1])

ومن هنا يمكن القول بأن المثل الإيجابي هو: المثل الذي ثبتت خيريته من الناحية القيمية أو الفعلية من خلال حكم ما في أمر من الأمور الناجحة، كضرب الله تعالى المثل للكلمة الطيبة في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾ [إبراهيم: ٢٤] فضرب الله المثل للكلمة الطيبة بالشجرة الطيبة الثابتة بجذورها الممتدة في الأرض، الشامخة بفروعها المُحَلِّقَةُ في السماء وثمارها الطيبة المُحَبَبَة للآكلين .

والمثل السلبي هو: الذي انتزع منه الخيرية من الناحية القيمية أو الفعلية من خلال حكم ما في أمر من الأمور غير الناجحة، كانتزاع النور من المنافقين في المثل الذي ضربه الله ﷻ لهم في سورة البقرة في قوله تعالى: ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ

[1] – عواصف الربيع لحسن عبد الرازق منصور ص (١٢٦)، ط: أمواج للنشر والتوزيع – عمان – الأردن، طبعة سنة (٢٠١٤م).

بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ [البقرة: ١٧]، فالمنافقون فئة من الفئات السلبية في المجتمع حيث إنهم يظهرون خلاف ما يعتقدون، فمثَّل الله ﷻ "استضاءة المنافقين بما أظهروه من الإقرار بالله وبمحمد ﷺ وبما جاء به، قولًا وهُم به مكذبون اعتقادًا، باستضاءة المُوقِد نارًا."([1]) فحالهم السلبية في ترك الاستضاءة الحقيقية بنور الإيمان اعتقادًا لما انطوت عليه قلوبهم من النفاق والخداع أدى إلى تمثيلهم بحال الموقد نارًا فلما أضاءت ما حوله سلب الله تعالى عنه نورها كما سلب عن هؤلاء نور الإيمان.

ج – **تعريف الأثر** هو : "بقيّة ما ترى من كُلّ شيء وما لا يُرَى بعد ما يُبْقي عُلْقَةً، وأَثرُ الحديث: أَنْ يأثِرَه قَوْمٌ عن قَوْمٍ، أي: يُحدَّثُ به في آثارهم، أي: بَعْدَهم، والمصدر: الأَثارةُ."([2])

"والأَثَرُ: الخَبَرُ، وجَمْعُه الآثارُ، وفلانٌ مِن حَمَلَةِ الآثَارِ. وَقد فَرقَ بَينهمَا أَئمَّةُ الحديثِ، فَقَالُوا: الخَبَرُ: مَا كَانَ عَن النَّبِيّ ﷺ، والأَثَرُ: مَا يُرْوَى عَن الصَّحَابَة، وانْتَثَرَه: تَبعَ أَثَرَه ، وَفِي بعض الأُصول: تَتَبَّعَ أَثَرَه، وأَثَّر فِيهِ تَأْثِيراً: تَرَكَ فِيهِ أَثَرًا، والتَّأْثِيرُ: إِبقاءُ الأَثَرِ فِي الشَّيْءِ، والآثارُ: الأَعْلَامُ، واحِدُه الأَثَرُ."([3])

---

[1] – جامع البيان في تأويل آي القرآن، المعروف بتفسير الطبري (١/١٦١)، ضبط وتعليق: محمود شاكر، ط. دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى(١٤٢١هـ-٢٠٠١م).

[2] – كتاب العين للخيل (٨/٢٣٦،٢٣٧)، مادة : أثر .

[3] تاج العروس للزبيدي (١٠/١٣،١٤)، مادة: أثر، ط: دار الهداية.

والمقصود هنا : ما يُبْقِيه أو ما يتركه المثل الإيجابي أو السلبي في النفس من زيادة إيمان أو رفعة أخلاق أو ترك منكر أو نحو ذلك .

ثانيًا :أقسام المثل في القرآن:

أورد الإمام السيوطي في الإتقان ثلاثة أنواع، هي الظاهرة المصرح بها، والكامنة والمرسلة

النوع الأول: الأمثال الظاهرة المصرحة، وهي ما صُرِح فيها بلفظ المثل، أو ما يدل على التشبيه([1])، وأمثلة هذا النوع كثيرة في القرآن الكريم منها: قوله تعالى ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [يونس: ٢٤]

ففي هذه الآية ضرب الله مثلًا للحياة الدنيا بالماء النازل من السماء فنبت بذلك الماء أنواع النبات حتى ظهر حسنها، وظن أهل الأرض "أنهم متمكنون من منفعتها محصلون لثمرتها، رافعون لعلتها،﴿ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا ﴾

---

[1] – ينظرالإتقان في علوم القرآن للسيوطي (١٦٧/٢) بتصرف، النوع السادس والستون: في أمثال القرآن، ط. دار عالم المعرفة، بدون تاريخ، اللآلئ الحسان في علوم القرآن، للدكتور موسى شاهين ص (١٩٨)، النوع: أمثال القرآن، ط: دار الشروق، الطبعة الأولى (١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م).

وهو ضرب زرعها ببعض العاهات بعد أمنهم واستيقانهم أنه قد سلم، فجعلنا زرعها شبيهًا بما يحصد من الزرع في قطعه واستئصاله كأن لم يغن زرعها ، أي لم ينبت. وهذا من التشبيه المركب ، شبهت حال الدنيا في سرعة تقضيها وانقراض نعيمها بعد الإقبال، بحال نبات الأرض في جفافه وذهابه حطامًا بعد ما التف وتكاثف."([1])

النوع الثاني: "الأمثال الكامنة وهي التي لا ذِكر للمَثَلِ فيها وحكمها حكم الأمثال، وأمثلة هذا النوع في القرآن كثيرة منها: التمثيل على (خير الأمور الوسط)، قال الماوردي: سمعت أبا إسحاق إبراهيم بن مُضَارِبِ بن إبراهيم يقول: سمعت أبي يقول: سألت الحسين بن الفضل فقلت: إنك تخرج أمثال العرب والعجم من القرآن فهل تجد في كتاب الله (خير الأمور أوساطها) قال نعم في أربعة مواضع قوله تعالى: ﴿ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ﴾ [البقرة: ٦٨]، **وقوله تعالى:** ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾ [الفرقان: ٦٧]، **وقوله تعالى:** ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ ﴾ [الإسراء: ٢٩]، **وقوله تعالى:** ﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء: ١١٠]

---

١ – الكشاف (١٢٨،١٢٩/٣).

قلت فهل تجد في كتاب الله (من جهل شيئا عاداه) قال نعم في موضعين: ﴿ بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِۦ ﴾ [يونس: ٣٩] ﴿ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُواْ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴾ [الأحقاف: ١١]..... **الخ"**(١)

النوع الثالث: الأمثال المرسلة: وهي جمل أرسلت إرسالًا من غير تصريح بلفظ التشبيه، فهي آيات جارية مجرى الأمثال.: "من ذلك

١ – قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴾ [النجم: ٥٨] مثل يضرب لعظم الحالة وبلوغ الطامة، وإعلان للعجز عن العلاج، والالتجاء إلى الله .

٢ – قوله تعالى: ﴿ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ ﴾[يوسف: ٥١] مثل يضرب لظهور الحق بعد خفائه.

٣ – قوله تعالى: ﴿ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴾[يوسف: ٤١] مثل يضرب للتيئيس وسد باب الجدل.

٤ – قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ﴾[فاطر: ٤٣] مثل يضرب تهديدًا لمن يكيد لغيره بأنه الذي سيقع في مكيدته.(٢)

إلى غير ذلك من الجمل التي جرت مجرى الأمثال في القرآن الكريم .

---

١ – ينظر الإتقان (٢/١٦٨،١٦٧)، النوع السادس والستون: في أمثال القرآن، اللآلئ الحسان ص (١٩٩)، النوع: أمثال القرآن.

٢ – ينظر الإتقان (٢/ ١٦٩)، النوع السادس والستون: في أمثال القرآن، اللآلئ الحسان (٢٠١-٢٠٣)، النوع: أمثال القرآن.

وذكر الزركشي في البرهان أن أبا عَبْدِ اللَّهِ الْبَكْرَابَاذِيُّ قسمه إِلَى أَرْبَعَةِ أَوْجُهٍ: "أَحَدُهَا: إِخْرَاجُ مَا لَا يَقَعُ عَلَيْهِ الْحِسُّ إِلَى مَا يَقَعُ عليه. وثانيها: إخراج ما لا يعلم بِبَدِيهَةِ الْعَقْلِ إِلَى مَا يُعْلَمُ بِالْبَدِيهَةِ. وَثَالِثُهَا: إِخْرَاجُ مَا لَمْ تَجْرِ بِهِ الْعَادَةُ إِلَى ما جرت به العادة. ورابعها: إخراج مالا قُوَّةَ لَهُ مِنَ الصِّفَةِ إِلَى مَا لَهُ قوة."([1])

ثالثًا: الغرض من المثل:

يضرب المثل لتقرير المقصود في النفس؛ إذ الأمثال تؤثر في القلوب ما لا يؤثر الإخبار المجرد أو الترغيب أو الترهيب المجرد، وذلك لأن الغرض من المثل تشبيه الخفي بالجلي، والغائب بالشاهد فيتأكد الوقوف على ماهيته، ويصير الحس مطابقًا للعقل وذلك في غاية الإيضاح.

يقول الفخر الرازي – رحمه الله – **"المقصود من ضرب الأمثال أنها تؤثر في القلوب ما لا يؤثره وصف الشيء في نفسه، وذلك لأن الغرض من المثل تشبيه الخفي بالجلي، والغائب بالشاهد، فيتأكد الوقوف على ماهيته ويصير الحس مطابقاً للعقل، وذلك في نهاية الإيضاح، ألا ترى أن الترغيب إذا وقع في الإيمان مجرداً عن ضرب مثل له لم يتأكد وقوعه في القلب كما يتأكد وقوعه إذا مثل بالنور، وإذا زهد في الكفر بمجرد الذكر لم يتأكد قبحه في العقول كما يتأكد إذا مُثِّلَ بالظلمة، وإذا أخبر بضعف أمر من الأمور وضرب مثله بنسج العنكبوت كان ذلك أبلغ في تقرير صورته**

[1] – البرهان في علوم القرآن (٤٨٦/١)، النوع الحادي والثلاثون: معرفة الأمثال الكائنة فيه.

من الأخبار بضعفه مجرداً ولهذا أكثر الله تعالى في كتابه المبين وفي سائر كتبه أمثاله"([1])

والزركشي – رحمه الله – **يقول " وَفِي ضرب الأمثال من تقرير المقصود مالا يخفى إذ الغرض من المثل تشبيه الخفيّ بالجليّ والشَّاهد بالغائب فالمرغَّب في الإيمان مثلًا إذا مُثِّل له بالنُّور تأكَّد في قلبه المقصود والمزهَّد في الكفر إذا مُثِّل له بالظُّلمة تأكَّد قبحه في نفسه."([2])**

فالأمثال تضرب لتشبيه ما خفي عن النفس بما هو جلي وواضح لها، وما هو غائب عنها بما هو شاهد؛ لتقرير المراد وتأكيده بعد الوقوف على ماهيته وإيضاحه بالتشبيه .

رابعًا : فوائد ضرب الأمثال

هذا النوع من أنواع علوم القرآن كثير النفع عظيم الفائدة، ولذا أفرده بالتأليف **الإمام أبو الحسن الماورديُّ([3])، وألف فيه الزركشي في كتابه**

---

[1] – مفاتيح الغيب (٣١٢/٢).

[2] – البرهان في علوم القرآن (٤٨٨/١)، النوع الحادي والثلاثون: معرفة الأمثال الكائنة فيه، وينظر الإتقان (١٦٧/٢)، النوع السادس والستون: في أمثال القرآن.

[3] – ينظر الإتقان (١٦٧/٢)، النوع السادس والستون: في أمثال القرآن، وأبو الحسن الماوردي هو: الإمام العلاَّمة أقضى القضاة أبو الحسن علي بن محمَّد بن حبيبٍ البصريُّ الماوَرْديُّ الشَّافعيُّ صاحب التَّصانيف، حدَّث عن: الحسن بن علي الجبلي صاحب أبي خليفة الجُمَحي، وعن محمد بن عديّ المِنْقَرِيّ ومحمد بن مُعَلَّى وجعفر بن محمد بن الفضل.

حدَّث عنه: أبو بكر الخطيب ووثَّقه وقال: مات في ربيع الأول سنة خمسين وأربع مائة وقد بلغ ستّا وثمانين سنة، وولي القضاء ببلدان شتَّى ثم سكن بغداد. سير أعلام ==

"البرهان في علوم القرآن"، والسيوطي في كتابه " الإتقان في علوم القرآن" كنوع من أنواع علوم القرآن، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [الزمر: ٢٧]، **وَقَالَ تَعَالَى:** ﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٣]، **و في حديث أبي هريرة ﷺ قال: قَالَ رسول الله ﷺ: [إِنَّ الْقُرْآنَ نَزَلَ عَلَى خَمْسَةٍ أَوْجُهٍ: حَلَالٍ وَحَرَامٍ وَمُحْكَمٍ وَمُتَشَابِهٍ وَأَمْثَالٍ فَاعْمَلُوا بِالْحَلَالِ وَاجْتَنِبُوا الْحَرَامَ وَاتَّبِعُوا الْمُحْكَمَ وَآمِنُوا بِالْمُتَشَابِهِ وَاعْتَبِرُوا بِالْأَمْثَالِ]([1])**

==

النبلاء للذهبي (٦٤/١٨)، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، ط : مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة (١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م).

وكتاب الماوردي في الأمثال هو كتاب أمثال القرآن ، وهو غير مطبوع، وتوجد منه نسخة في تركيا ، ذكر ذلك محقق كتاب الحكم والأمثال للماوردي ص (١٥) عند بيان آثار الماوردي العلمية نقلًا عن نوادر المخطوطات في مكتبات تركيا (٤٠/٢)، ط داد الوطن بالمملكة العربية السعودية ، الطبعة الأولى (١٤٢٠هـ-١٩٩٩م)، تحقيق: الدكتور فؤاد عبد المنعم أحمد .

[1] – أخرجه البيهقي في شعب الإيمان، كتاب تعظيم القرآن، باب: في قراءة القرآن بالتَّفخيم والإعراب، (٥٤٨/٣)، ح رقم (٢٠٩٥)، بلفظ: [أَعْرِبُوا الْقُرْآنَ، وَاتَّبِعُوا غَرَائِبَهُ وَغَرَائِبُهُ فَرَائِضُهُ وَحُدُودُهُ، فَإِنَّ الْقُرْآنَ نَزَلَ عَلَى خَمْسَةِ أَوْجُهٍ: حَلَالٍ وَحَرَامٍ وَمُحْكَمٍ وَمُتَشَابِهٍ وَأَمْثَالٍ، فَاعْمَلُوا بِالْحَلَالِ وَاجْتَنِبُوا الْحَرَامَ وَاتَّبِعُوا الْمُحْكَمَ وَآمِنُوا بِالْمُتَشَابِهِ وَاعْتَبِرُوا بِالْأَمْثَالِ]، تحقيق: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، ط: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض، الطبعة الأولى(١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٣ م).

" قال الماورديُّ: من أعظم علم القرآن علم أمثاله والنَّاس في غفلة عنه لاشتغالهم بالأمثال وإغفالهم المُمَثَّلَات والمَثَلُ بلا مُمَثَّلٍ كالفرس بلا لجام والناقة بلا زمام.

وقال غيره: قد عدَّه الشافعيُّ مما يجب على المجتهد معرفته من علوم القرآن فقال: ثم معرفة ما ضرب فيه من الأمثال الدَّوال على طاعته المبيِّنَة لاجتناب معصيته."([1])

وقد أفرده بالتأليف الحكيم الترمذي في كتابه "الأمثال من الكتاب والسنة"([2])، كما أفرده بالتأليف في العصر الحديث عبد الله بن عبد الرحمن الجربوع في كتابه "الأمثال القرآنية القياسية المضروبة للإيمان بالله"([3])، إلى غير ذلك من المؤلفات في الأمثال، المفردة منها وغير المفردة.

وهذا يدل دلالة واضحة على عظم هذا النوع من أنواع علوم القرآن وكثرة فوائده وتعدد منافعه لمن أراد تدبر آيات الذكر الحكيم .

---

[1] – الإتقان (١٦٧/٢)، النوع السادس والستون: في أمثال القرآن .

[2] – هو كتاب مطبوع، وهو لمحمد بن علي بن الحسن بن بشر، أبو عبد الله، الحكيم الترمذي (المتوفى: نحو ٣٢٠هـ)، حققه: د. السيد الجميلي، ط: دار ابن زيدون / دار أسامة – بيروت – دمشق.

٣ – هو كتاب مطبوع نشرته عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية.

ومن هذه الفوائد :

١ – أن المثل أعون شيء على البيان الذي هو من خصائص هذه الشريعة، وذلك أن الحِكم والأمثال تصور المعاني تصوُّر الأشخاص، فإنَّ الأشخاص والأعيان أثبت في الأذهان؛ لاستعانة الذهن فيها بالحواس، بخلاف المعاني المعقولة فإنها مجَرَّدةٌ عن الحسّ، ولذلك دقَّت، ولا ينتظم مقصود التَّشبيه والتَّمثيل إلَّا بأن يكون المثل المضروب مُجَرَّبًا مسَلَّمًا عند السَّامع.

٢ – أن في ضرب الأمثال من تقرير المقصود مالا يَخْفَى؛ إذ الغرض من المثل تشبيه الخفِيّ بِالجليّ والشَّاهد بالغائب، فالمرغَّب في الإيمان مثَلًا إذَا مُثِّل له بالنُّور تأكَّد فِي قلبه المقصود، والمزهَّد في الكفر إذا مُثِّل له بالظلمة تأكَّد قبحه في نفسه.

٣ – أن في ضرب الأمثال تبكيت الخصم، وقد أكثر تعالى في القرآن وفى سائر كتبه من الأمثال وفِي سور الإنجيل سورَة الأمثال.([1])

قال الزمخشريُّ: "التَّمثيل إنَّمَا يصار إليه لكشف المعاني وإدناء المتوهَّم من المشاهد فإن كان المُتمثَّل له عظيمًا كان المتمثَّل به مثله وإن كان حقيرًا كان المتمثَّل به كذلك فليس العِظَم والحقارة في المضروب به المثل إلَّا بأمر استدعته حال الممثَّل له ألا ترى أنَّ الحقَّ لمَّا كان واضحًا

---

[1] – البرهان في علوم القرآن (١/٤٨٧، ٤٨٨)، النوع الحادي والثلاثون: معرفة الأمثال الكائنة فيه.

جليًّا تُمثّل له بالضّياء والنُّور وأنَّ الباطل لمَّا كان بضدّه تُمثّل له بالظُّلمة وكذلك جعل بيت العنكبوت مثلًا فِي الوهن والضعف."([1])

٤ – تضرب الأمثال في القرآن للتذكير والوعظ والحث والزجر والاعتبار .

٥ – تضرب الأمثال في القرآن لبيان تفاوت الأجر، كما تأتي مشتملة على المدح والذم، ومشتملة على الثواب والعقاب.

٦ – تضرب الأمثال في القرآن لتفخيم أمر أو تحقيره، كما تضرب لتقرير أمر أو إبطاله.

٧ – تضرب الأمثال في القرآن لتبكيت الخصم الشديد الخصومة، وقمع سورة الجامح الأبي، فإن المثل يؤثر في القلوب ما لا يؤثر في وصف الشيء في نفسه.([2])

٨ – تعليم العباد كيف يقيسون الأمر وينتقلون من النظير إلى النظير .

٩ – تعليم العباد أن المتماثلين متساويان شرعًا وعقلًا، ولو جاز التفريق بين المتماثلين لانسدت طيق الاستدلال ولم تبق للعقل قيمة.([3])

---

[1] – الكشاف (٢٣٥/١).

[2] – ينظر الإتقان (٢/ ١٦٧)، النوع السادس والستون: في أمثال القرآن.

[3] – الأصلان في علوم القرآن ص (٣٤٦) للدكتور محمد عبد المنعم القيعي، باب: وسائل الإقناع، تحقيق الدكتور محمد سالم محمد، الطبعة الرابعة، (١٤١٧هـ–١٩٩٦م)، بدون بيانات طبع .

ولكل مثل في القرآن الكريم فائدته الخاصة به، فلكل مثلٍ موضوعه الذي ضرب لإقناع المخاطب به، وسياقه وحَدَثُه الذي وضع فيه، فله فائدته التي تناسب موضوعه وسياقه . والله أعلم

"فمثلًا قوله تعالى: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤١] **فذكر سبحانه أنهم ضعفاء، وأن الذين اتخذوهم أولياءهم أضعف منهم، فهم في ضعف وما قصدوه من اتخاذ الأولياء كالعنكبوت اتخذت بيتًا، وهو أوهن البيوت وأضعفها، وتحت هذا المثل أن هؤلاء المشركين أضعف ما كانوا حين اتخذوا من دون الله أولياء، فلم يستفيدوا بمن اتخذوهم أولياء إلا ضعفًا؛ كما قال تعالى:** ﴿ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّا ۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾ ﴾ [مريم: ٨١ – ٨٢].

وهذا من أحسن الأمثال وأدلها على بطلان الشرك وخسارة صاحبه وحصوله على ضد مقصوده..

ولم ينفِ سبحانه عنهم العلم بوهن بيت العنكبوت؛ وإنما نفى عنهم علمهم بأن اتخاذهم أولياء من دونه كالعنكبوت اتخذت بيتًا، فلوا علموا ذلك لما فعلوه؛ ولكن ظنوا أن اتخاذهم الأولياء من دونه يفيدهم عزًّا وقدرة،

فكان الأمر بخلاف ما ظنوه.. فأنت ترى أن الفائدة بيان ضعف المشركين، وأنهم كالمستجير من الرمضاء بالنار."([1])

[1] – الأصلان في علوم القرآن ص (٣٤٦،٣٤٧)، باب: وسائل الإقناع.

المبحث الأول : المَثل الإيجابي في القرآن الكريم وأثره في تربية النفوس

الموضع الأول: ضَرْبُ المثل بما يؤدي الغرض عظيمًا كان المثل المضروب أو حقيرًا .

الموضع الثاني: ضرب المثل لمضاعفة أجر الإنفاق في سبيل الله.

الموضع الثالث : ضرب المثل للإيمان بالكلمة الطيبة .

المبحث الأول

المَثل الإيجابي في القرآن الكريم وأثره في تربية النفوس

الموضع الأول: **ضَرْبُ المثل بما يؤدي الغرض عظيمًا كان المثل المضروب أو حقيرًا**

قال تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلٗاۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرٗا وَيَهۡدِي بِهِۦ كَثِيرٗاۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴾ [البقرة: ٢٦]

أولًا: سبب نزول الآية

قال الإمام الطبري رحمه الله –: اختلف أهل التأويل في المعنى الذي أنزل الله جل ثناؤه فيه هذه الآية وفي تأويلها.

"فقال بعضهم عن ابن مسعود، عن ناس من أصحاب النبي ﷺ : لَما ضرَب الله هذين المثلين للمنافقين – يعني قوله: ﴿ مَثَلُهُمۡ كَمَثَلِ ٱلَّذِي ٱسۡتَوۡقَدَ نَارٗا ﴾ [البقرة: ١٧]، وقوله: ﴿ أَوۡ كَصَيِّبٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ [البقرة: ١٩] قال المنافقون: الله أعلى وأجلّ من أنْ يضرب هذه الأمثال، فأنزل الله:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَاۚ ﴾ [البقرة: ٢٦]، **إلى قوله:** ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٢٧ ﴾ [البقرة: ٢٧]"(١)

وعن الرّبيع بن أنس قال :" هذا مثل ضربه الله للدنيا، إن البعوضة تحيا ما جاعتْ، فإذا سمنت ماتتْ. وكذلك مثل هؤلاء القوم الذين ضرب الله لهم هذا المثل في القرآن: إذا امتلأوا من الدنيا رِيًّا أخذَهم الله عند ذلك، ثم تلا: ﴿ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَبۡوَٰبَ كُلِّ شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةٗ فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ ﴾ [الأنعام: ٤٤]"(٢)

وقال الحسن وقتادة:" لما ذكر الله الذباب والعنكبوت في كتابه، وضرب للمشركين به المثل ضحكت اليهود وقالوا: ما يشبه هذا كلام الله، فأنزل الله هذه الآية."(٣)

ورجح الطبري: "أن المثل في الآية رد على المنافقين، جاء عَقِيب أمثالٍ قد تقدمت في هذه السورة، ضربها الله للمنافقين، دون الأمثال التي ضربها في سائر السور غيرها. فلأن يكون هذا القول – أعني قوله﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا ﴾ جوابًا لنكير الكفار والمنافقين ما

---

١ – جامع البيان (٢٠٣،٢٠٤/١)، العجاب في بيان الأسباب، لابن حجر العسقلاني (٢٤٥/١)، تحقيق: عبد الحكيم محمد الأنيس، ط: دار ابن الجوزي، بدون تاريخ .

٢ – جامع البيان (٢٠٤/١)

٣ – الكشاف (٢٣٦/١)، العجاب في بيان الأسباب (٢٤٥/١).

ضرب لهم من الأمثال في هذه السورة، أحقّ وأولى من أن يكون ذلك جوابًا لنكيرهم ما ضرب لهم من الأمثال في غيرها من السور.

وذكر الفخر الرازي أنَّ الآية محتملة للكل، واحتمال الكل هاهنا قائم؛ لأن الكافرين والمنافقين واليهود كانوا متوافقين في إيذاء رسول الله ﷺ وقد مضى من أول السورة إلى هذا الموضع ذكر اليهود وذكر المنافقين وذكر المشركين وكلهم من الذين كفروا"([1])فهي رد على الكفار والمنافقين واليهود في اعتراضهم على القرآن في ضرب المثل بالذباب والعنكبوت وغيرها،

وذلك أنّ قول الله جلّ ثناؤه:"﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَاۚ ﴾ ، إنما هو خبرٌ منه جلّ ذكره أنه لا يستحي أن يضرب في الحقّ من الأمثال صغيرِها وكبيرِها، ابتلاءً بذلك عبادَه واختبارًا منه لهم، ليميز به أهل الإيمان والتصديق به من أهل الضلال والكفر به، إضلالا منه به لقوم، وهدايةً منه به لآخرين.

لا أنه جلّ ذكره قصَد الخبرَ عن عين البعوضة أنه لا يستحي من ضرْب المثل بها، ولكن البعوضة لما كانت أضعف الخلق خصها الله بالذكر في القِلة، فأخبر أنه لا يستحي أن يضرب أقلّ الأمثال في الحق وأحقرَها وأعلاها إلى غير نهاية في الارتفاع، جوابًا منه جل ذكره لمن أنكر

[1] – مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٣٦١/٢)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الثالثة (١٤٢٠ هـ).

من منافقي خلقه ما ضرَب لهم من المثل بمُوقِد النار والصيِّب من السماء، على ما نَعَتهما به من نَعْتهما."([1])

وقال ابن حجر : **" والأرجح نسبة القول لأهل النفاق لأن كتب أهل الكتاب ممتلئة بضرب الأمثال فيبعد أن ينكروا ما في كتبهم مثله."([2])**

ثانيًا: معنى الآية:

يقول الإمام الزمخشري – رحمه الله –

"سيقت هذه الآية لبيان أن ما استنكره الجهلة والسفهاء وأهل العناد، والمراء من الكفار واستغربوه من أن تكون المحقرات من الأشياء مضروبًا بها المثل، ليس بموضع للاستنكار والاستغراب، من قبل أن التمثيل إنما يصار اليه لما فيه من كشف المعنى ورفع الحجاب عن الغرض المطلوب وإدناء المتوهم من المشاهد، فإن كان المتمثل له عظيما كان المتمثل به مثله، وإن كان حقيرا كان المتمثل به كذلك، فليس العظم والحقارة في المضروب به المثل إذًا إلا أمرا تستدعيه حال المتمثل له وتستجره إلى نفسها، فيعمل الضارب للمثل على حسب تلك القضية؛ ألا ترى إلى الحق لما كان واضحًا جليًا أبلج كيف تمثل له بالضياء والنور؟ وإلى الباطل لما كان بضد صفته كيف تمثل له بالظلمة؟ ولما كانت حال الآلهة التي جعلها الكفار أندادًا لله تعالى لا حال أحقر منها وأقل، ولذلك جعل بيت العنكبوت مثَلُها في الضعف والوهن، وجعلت أقل من الذباب وأخس قدرًا، وضربت

---

[1] – جامع البيان (٢٠٥/١) .

[2] – العجاب في بيان الأسباب (٢٤٧/١) .

لها البعوضة فالذي دونها مثلا لم يستنكر ولم يستبدع، ولم يقل للمتمثل: استحى من تمثيلها بالبعوضة ؛لأنه مصيب في تمثيله محق في قوله سائق للمثل على قضية مضربه، محتذ على مثال ما يحتكمه ويستدعيه، ولبيان أن المؤمنين الذين عادتهم الإنصاف والعمل على العدل والتسوية والنظر في الأمور بناظر العقل إذا سمعوا بمثل هذا التمثيل علموا أنه الحق الذي لا تمر الشبهة بساحته، والصواب الذي لا يرتع الخطأ حوله، وأن الكفار الذين غلبهم الجهل على عقولهم، وغصبهم على بصائرهم فلا يتفطنون،، ولا يلقون أذهانهم، أو عرفوا أنه الحق إلا أن حب الرياسة، وهوى الإلف والعادة لا يخليهم أن ينصفوا فإذا سمعوه عاندوا وكابروا، وقضوا عليه بالبطلان، وقابلوه بالإنكار، وأن ذلك سبب زيادة هدى المؤمنين، وانهماك الفاسقين في غيهم وضلالهم.

والعجب منهم كيف أنكروا ذلك وما زال الناس يضربون الأمثال بالبهائم والطيور وأحناش الأرض والحشرات والهوام، وهذه أمثال العرب بين أيديهم مسيرة في حواضرهم وبواديهم قد تمثلوا فيها بأحقر الأشياء فقالوا: أجمع من ذرة، وأجرأ من الذباب، وأسمع من قراد، وأصرد من جرادة، وأضعف من فراشة، وآكل من السوس، وقالوا في البعوضة: أضعف من بعوضة، وأعز من مخ البعوض، وكلفتني مخ البعوض.

ولقد ضربت الأمثال في الإنجيل بالأشياء المحقرة كالزوان([1]) والنخالة وحبة الخردل والحصاة والأرضة والدود والزنابير،

[1] – الزَوان: حب يخالط البر . ينظر الصحاح (٢١٣٢/٥)، مادة: زون.

والتمثيل بهذه الأشياء وبأحقر منها مما لا تغني استقامته وصحته على من به أدنى مسكة، ولكن ديدن المحجوج المبهوت الذي لا يبقى له متمسك بدليل، ولا متشبث بأمارة، ولا إقناع أن يرمي لفرط الحيرة والعجز عن إعمال الحيلة بدفع الواضح وإنكار المستقيم والتعويل على المكابرة والمغالطة اذا لم يجد سوى ذلك معولًا."([1])

ثالثًا: الأثر المترتب على ضرب المثل

١ – المثل المضروب في الآية الكريمة يربّي الله ﷻ به النفوس المؤمنة على قول الحق مهما كان صغيرًا، ونصرته مهما كان حقيرًا في أعين بعض الناس، وأن من الإيجابية أن ننظر إلى الحق على أنه حق، مهما كان قليلًا في مقابلة الباطل، وأن كثرة الباطل وتشعبَه لا ينبغي أن يُثْنينا عن الحق مهما كان ضعيفًا في وقت من الأوقات.

٢ – يربي المثل في نفوس المؤمنين عدم الالتفات إلى كلام المثبطين من أهل النفاق ومرضى النفوس، وبخاصة في محاولاتهم المستمرة لإبطال الحق وإحقاق الباطل.

٣ – يربي المثل في النفوس أنَّ أهل الإيمان والبصيرة هم الذين يهتدون بهدايات القرآن وما فيه من أمثال وغيرها، أما من طُمست بصيرتهم وعميت قلوبهم عن الحق فلا يعرفون لهدايات القرآن طريقًا ولا يجدون لها سبيلًا، وذلك راجع إلى عمى قلوبهم وانطماس بصيرتهم .

[1] – الكشاف (١/٢٣٥،٢٣٦) .

٤ – بيَّنت الآية "أن صغر الأشياء لا يقدح في الفصاحة إذا كان ذكرها مشتملاً على حكم بالغة."(١)، وفي ذلك رد على دعوى الكافرين أن ذكر النحل والذباب والعنكبوت والنمل لا يليق ذكره في الكلام الفصيح.

٥ – دلت الآية على "أنَّ الشَّيء كلَّما كان أصغر كان الاطِّلاع على أسراره أصعب، فإذا كان في نهاية الصِّغر لم يُحِط به إلَّا علم الله تعالى، فكان التَّمثيل به أقوى في الدَّلالة على كمال الحكمة من التَّمثيل بالشيء الكبير."(٢)

٦ – تشير الآية "إلى أن الأشياء كلها وإن عظمت حقيرة بالنسبة إلى جلال الله وعظمته وكماله ، فلو ترك التمثيل بها لذلك لانسد ذلك الباب الذي هو من أعجب العجاب"(٣).

٧ – "في الآية إشارة إلى حسن التمثيل، كيف والله سبحانه مع عظمته وبالغ حكمته لم يتركه ولم يستح منه"(٤) فلا ينبغي أن يستحي العبد من ضرب المثل لبيان الحق مهما كان حقيرًا ما دام الغرض هو إظهار الحق وبيانه.

---

١ – مفاتيح الغيب (٣٦١/٢) .

٢ – مفاتيح الغيب (٣٦٣/٢) .

٣ – نظم الدرر للبقاعي (١٩٨/١، ١٩٩)، ط: دار الكتاب الإسلامي بالقاهرة – بدون تاريخ .

٤ – روح المعاني للألوسي (٢٠٨/١)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، ط: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، (١٤١٥ هـ).

٨ – من لطائف المثل المضروب هنا، وفي كل موضع في القرآن، أن المؤمنين يعلمون حقية المثل المضروب من قِبَلِه سبحانه، فيذعنون ويخضون دون ريب أو تردد، أما الكافرون فشأنهم العناد والمكابرة والجهل.

يقول الإمام الألوسي – رحمه الله– :" لم يقل سبحانه– وأما الذين كفروا فلا يعلمون– ليقابل سابقه لما في هذا من المبالغة في ذمهم والتنبيه بأحسن وجه على كمال جهلهم؛ لأن الاستفهام إما لعدم العلم، أو للإنكار، وكل منهما يدل على الجهل دلالة واضحة.

قيل: ولم يقل سبحانه هناك– وأما الذين آمنوا فيقولون– إلخ إشارة إلى أن المؤمنين اكتفوا بالخضوع والطاعة من غير حاجة إلى التكلم، والكافرون لخبثهم وعنادهم لا يطيقون الأسرار؛ لأنه كإخفاء الجمر في الحلفاء، وقيل: إن– يقولون– لا يدل صريحًا على العلم وهو المقصود، والكافرون منهم الجاهل والمعاند فَيَقُولُونَ إلخ أشمل وأجمع."([1])

ولما كان إذعان المؤمنين اعترافًا منهم بنعم الله عليهم، والتي من أجلِّها وأعظمها نعمة نزول الكتاب

جاء التعبير القرآني في الحديث عن إيمانهم وخضوعهم "بالتعرض لعنوان الربوبية للإشارة إلى أنهم يعترفون بحقية القرآن وبما أنعم الله تعالى به عليهم من النعم التي من أجلها نزول هذا الكتاب، وأما الكفرة المنكرون لجلاله المتخذون غيره من الأرباب فالله عز اسمه هو المناسب

[1] – روح المعاني (١/٢١٠) .

لحالهم، وقيل: في ذلك- مع الإضافة إلى الضمير- تشريف وإيذان بأن ضرب المثل تربية لهم وإرشاد إلى ما يوصلهم إلى كمالهم اللائق بهم."([1])

٩ - في الآية "جواب لدفع ما يزعمه الكفرة وأهل النفاق من عدم الفائدة في ضرب الأمثال بالمحقرات ببيان أنه مشتمل على حكمة جليلة وغاية جميلة، هي كونه وسيلة إلى هداية المستَعدِّين للهداية وإضلال المنهمكين في الغواية، ووُضِع الفعلان - يضل ويهدي - موضع المصدر للإشعار بالاستمرار التجددي والمضارع يستعمل له كثيرًا، ففي التعبير به هنا إشارة إلى أن الإضلال والهداية لا يزالان يتجددان ما تجدد الزمان."([2])

١٠ - المثل المضروب "ليس نقصًا في جانبه وإنَّما هو حقٌّ؛ لأنَّه مبيّنٌ للحقّ ومقرّرٌ له، وسائق إلى الأخذ به بما له من التّأثير في النَّفس، وذلك أنَّ المعاني الكلّيَّة تعرض للذّهن مجملةً مبهمةً فيصعب عليه أن يحيط بها وينفذ فيها فيستخرج سرَّها، والمثل هو الذي يفصّل إجمالها ويوضّح إبهامها، فهو ميزان البلاغة وقسطاسها، ومشكاة الهداية ونبراسها.

ومُحَصَّلُه: أنَّ الله - تعالى - خالق كلِّ شيءٍ، فيجعل ما شاء من المنفعة والفائدة فيما شاء ومن شاء مِن خلقه ويضرِبه مثلًا للنَّاس يهتدون به، وليس هذا نقصًا في جانب الألوهيَّة فيستحي من ضربها مثلًا، بل من الكمال والفضل أن يجعل في المخلوقات الضَّعيفة والمُحْتَقَرة في العرف كالبعوض فوائد ومنافع، فكيف يُستنكر أن يجعل من الإنسان

---

[1] - روح المعاني (٢١٠/١) .

[2] - روح المعاني (٢١١/١) بتصرف يسير .

الكامل الّذي كرَّمه وخلَقه في أحسن تقويم مثلًا وإمامًا يقتدي به قومه ويهتدون بهديه؟"([1])

الموضع الثاني: ضرب المثل لمضاعفة أجر الإنفاق في سبيل الله:

يقول الله تعالى: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٦١]

ويقول تعالى ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثۡبِيتٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ كَمَثَلِ جَنَّةِۭ بِرَبۡوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٞ فَـَٔاتَتۡ أُكُلَهَا ضِعۡفَيۡنِ فَإِن لَّمۡ يُصِبۡهَا وَابِلٞ فَطَلّٞۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [البقرة: ٢٦٥]

معنى الآيات :

الآية الأولى: يبين الله تعالى فيها ثواب الإنفاق في سبيله، وأن "مَثَل الذين ينفقون أموالهم على أنفسهم في جهاد أعداء الله بأنفسهم وأموالهم كمثل حبة من حبات الحنطة أو الشعير، أو غير ذلك من نبات الأرض التي تُسَنْبل رَيْعَها سنبلة بذرها زارع فأخرجت سبع سنابلَ في كل سنبلة مائة حبة ، فكذلك المنفق ماله على نفسه في سبيل الله، له أجره سبعمائة

[1] – تفسير المنار لمحمد رشيد رضا (١/١٩٨، ٢٠١)، ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب، (١٩٩٠ م).

ضعف على الواحد من نفقته، والله يضاعف على السبعمائة إلى ما يشاء من التضعيف، لمن يشاء من المنفقين في سبيله."([1])

والآية الثانية: ضرب الله فيها "مثلًا لنفقة المؤمن الذي يريد بنفقته وجه الله تعالى ولا يمن بها فقال ﷻ ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ ﴾ يعني يتصدقون طلبًا لرضى الله تعالى بصدقاتهم، ﴿ وَتَثۡبِيتٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ ﴾ يعني وتصديقًا من قلوبهم وهم متَحَقِّقون أنَّ الله سيجزيهم على ذلك أوفر الجزاء بالثواب في الآخرة والخلف في الدنيا، ويقال وتثبيتًا من أنفسهم يعني وتحقيقًا من قلوبهم يقصـــدون بها وجه الله ﴿ كَمَثَلِ جَنَّةِۭ بِرَبۡوَةٍ ﴾ يعني بستانا في مكان مستو يعلو فوق المياه، والرَّبوة من الأرض: ما نشز منها فارتفع عن السيل. وإنما وصفها بذلك جل ثناؤه؛ لأن ما ارتفع عن المسايل والأودية أغلظ، وجنان ما غلُظ من الأرض أحسنُ وأزكى ثمرًا وغرسًا وزرعًا، مما رقَّ منها ﴿ أَصَابَهَا وَابِلٞ ﴾ يعني البستان أصابه المطر الشديد ﴿فَـَٔاتَتۡ أُكُلَهَا ضِعۡفَيۡنِ ﴾، وفي الآية تقديم وتأخير ومعناه كمثل جنة بربوة أصابها وابل ﴿ فَإِن لَّمۡ يُصِبۡهَا وَابِلٞ فَطَلّٞۗ ﴾ فأتت أكلها ضعفين، يعني البستان إذا أصابه المطر أو الطل – والطل البطيء من المطر – وهو مثل الندى، اخضرت أوراق البستان وأخرجت ثمرها ضعفين فكذلك الذي يتصدق به

[1] – جامع البيان (٣/٧٤)

لوجه الله تعالى يكون له الثواب ضعفين، يعني بالواحد عشرة إلى سبعمائة ضعف وإلى مـــا لا نهـــاية له ﴿ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴾"(١)

الأثر المترتب على ضرب المثل للإنفاق في سبيل الله

١ – المثل المضروب يربي في نفس المؤمن أن ما أنفقه المنفق في سبيل الله هو أنفع وأبقى؛ ولذا كان التشبيه بالربوة في الآية الثانية، وهي أجود الأرض وأحسنها زرعًا، فكما أن كرم منبت الربوة يعود على صاحبها، فكذا النفقة قليلة كان أو كثيرة يضاعفها الله لصاحبها. والله أعلم

٢ – أفاد المثل المضروب في الآية الأولى أن أعظم الإنفاق ما كان للجهاد في سبيل الله على القول بأن المراد بالإنفاق في سبيل الله في الآية هو الإنفاق للجهاد .

يقول ابن عطية – رحمه الله –"هذه الآية لفظها بيان مثل بشرف النفقة في سبيل الله وبحسنها، وضمنها التحريض على ذلك، وهذه الآية في نفقة التطوع، وسبل الله كثيرة، وهي جميع ما هو طاعة وعائد بمنفعة على المسلمين والملة، وأشهرها وأعظمها غناء الجهاد لتكون كلمة الله هي العليا.

---

١ – ينظر جامع البيان (٣/٨٣–٨٩)، تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم للسمرقندي (١/٢٠٢)، ط: دار الفكر – بيروت، تحقيق: د.محمود مطرجي، بدون تاريخ. وتفسير القرآن العظيم المعروف ابن كثير (١/٦٩٤)، تحقيق: د/ السيد محمد السيد وآخرين، ط. دار الحديث، (١٤٢٣هـ–٢٠٠٢م)

وقد ورد القرآن بأن الحسنة في جميع أعمال البر بعشر أمثالها، واقتضت هذه الآية أن نفقة الجهاد حسنتها بسبعمائة ضعف، وبين ذلك الحديث الصحيح ."([1])

٣ – المثل يعكس الصورة الإيجابية لحال المنفق في سبيل الله وتضعيف الثواب له عند ربه، فتصوير الأضعاف –في الآية الأولى– بهذا التمثيل كأنها ماثلة بين عيني الناظر ترغيبًا في الأنفاق وحثًا على المسابقة إلى الخيرات "فإن قلت كيف صح هذا التمثيل والممثل به غير موجود قلت بل هو موجود في الدخن والذرة وغيرهما وربما فرخت ساق البرة في الأراضي القوية المغلة فيبلغ حبها هذا المبلغ ولو لم يوجد لكان صحيحا على سبيل الفرض والتقدير"([2])

ومن جملة هذا الترغيب ما بيَّنته الآية الأولى أن أدنى النفقة في سبيل الله تضاعف سبعمائة ضعف، ثم يضاعف الله ما يشاء إلى ما لا يعلم عدَّه إلا هو.

---

[1] – المحرر الوجيز لابن عطية (١/٣٥٥،٣٥٦) بتصرف يسير ، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى (١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١م).

ولعل ابن عطية أراد بالحديث الصحيح حديث مسلم الذي رواه أبو مسعود الأنصاريّ، قال: جاء رجل بِنَاقَةٍ مَخْطُومَةٍ، فقال: هذه في سبيل الله، فقال رسول الله ﷺ: "لَكَ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ سَبْعُ مِائَةِ نَاقَةٍ كُلُّهَا مَخْطُومَةٌ" أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب: فضل الصدقة في سبيل الله وتضعيفها، ص)٧٨٧)، ح رقم (١٨٩٢) .

[2] – الكشاف (١/٤٩٤).

يقول البقاعي – رحمه الله – ت(٨٨٥هـ) :"ضرب المثل للإنفاق في سبيل الله وذكر السبع لما فيه من التمام بالحرث الذي هو كيميا عباده يشهدون من تثميره، حيث تصير الحبة أصلاً، ويثمر الأصل سنابل ويكون في كل سنبلة أعداد من الحب، فكان ما ذكر تعالى هو أول الإنفاق في سبيل الله، وذكر السبع لما فيه من التمام وما يقبله من التكثير ، فإن ما أنبت أكثر من سبع إذا قصد بالتكثير أنبأ عنه بالسبع؛ لأن العرب تكثر به ما هو أقل منه أو أكثر ، فجعل أدنى النفقة في سبيل الله سبعمائة ضعف ، ثم فتح تعالى باب التضعيف إلى ما لا يصل إليه عد."([1])

٤ – أن في الإنفاق تثبيتًا للنفس على الإيمان وترويضًا لها على إيثار الباقية على الفانية . وهذا ما أشارت إليه الآية الثانية في قوله تعالى ﴿ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ ﴾، أي: "وليثبتوا منها ببذل المال الذي هو شقيق الروح وبذله أشق شيء على النفس على سائر العبادات الشاقة، وعلى الإيمان لأن النفس اذا ريضت بالتحامل عليها وتكليفها ما يصعب عليها ذلت خاضعة لصاحبها، وقل طمعها في اتباعه لشهواتها وبالعكس، فكان إنفاق المال تثبيتا لها على الايمان واليقين.

ويجوز أن يراد وتصديقًا للإسلام وتحقيقا للجزاء من أصل أنفسهم؛ لأنه إذا أنفق المسلم ماله في سبيل الله علم أن تصديقه وإيمانه بالثواب من أصل نفسه ومن إخلاص قلبه."([2])

---

[1] – نظم الدرر (٤/٧٥).

[2] – نظم الدرر (١/٤٩٦) .

٥- يربي المثل في النفوس المؤمنة أن التضعيف إلى سبعمائة لا يرتبط بالكثرة بقدر ما يرتبط بالإخلاص لله ﷻ، فرب درهم سبق ألف درهم، بإخلاص صاحبه وقلة ذات يده، فالدرهم بالنسبة له يمثل أهمية كبيرة وحاجة له، بخلاف صاحب الألف وما شابه ربما يكون ما أنفقه قليل من كثير عنده، فلا يمثل ما أنفقه أهمية أصلًا، ولذا قال تعالى ﴿ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ﴾، أي: "كما ضعَّفتُ ثمرة هذه الجنة التي وصفتُ صفتها حين جاد الوابل، فإن أخطأ هذا الوابل، فالطل كذلك. يضعِّف الله صَدقة المتصدِّق والمنفق ماله ابتغاء مرضاته وتثبيتًا من نفسه، من غير مَنٍّ ولا أذى، قلَّت نفقته أو كثرت، لا تخيب ولا تُخلِف نفقته، كما تضعَّف الجنة التي وصف جل ثناؤه صفتها، قل ما أصابها من المطر أو كثُر لا يُخلِف خيرُها بحال من الأحوال."(١)

"فمثل حالهم عند الله بالجنة على الربوة ونفقتهم الكثيرة والقليلة بالوابل والطل وكما أن كل واحد من المطرين يضعف أكل الجنة فكذلك نفقتهم كثيرة كانت أو قليلة بعد أن يطلب بها وجه الله ويبذل فيها الوسع زاكية عند الله زائدة في زلفاهم وحسن حالهم عنده."(٢)

٦ – أفاد سياق الآيات أن من عَلِمَ قدرة الله على المجازاة والإثابة أنفق في سبيله، وكان علمه بذلك داعيًا إياه للإنفاق في سبيل الله، فالآيات السابقة على الآية الأولى – وهي قصة المارِّ على قرية وقصة إبراهيم ﷺ أدلُّ دليل على البعث، فأتبعها سبحانه بما ينفع العبد بعد بعثه.

---

١ – جامع البيان (٨٨/٣) .

٢ – جامع البيان (٤٩٧/١) .

يقول الفخر الرازي –رحمه الله– ت(٦٠٦هـ):"**لما أجمل في قوله** ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافًا كَثِيرَةً﴾ [البقرة: ٢٤٥] **فصل بعد ذلك في هذه الآية تلك الأضعاف، وإنما ذكر بين الآيتين الأدلة على قدرته بالإحياء والإماتة من حيث لولا ذلك لم يحسن التكليف بالإنفاق؛ لأنه لولا وجود الإله المثيب المعاقب لكان الإنفاق في سائر الطاعات عبثًا، فكأنه تعالى قال لمن رغبه في الإنفاق قد عرفتَ أني خلقتك وأكملت نعمتي عليك بالإحياء والأقدار، وقد علمتَ قدرتي على المجازاة والإثابة، فليكن علمك بهذه الأحوال داعيًا إلى إنفاق المال، فإنه يجازي القليل بالكثير ثم ضرب لذلك الكثير مثلًا وهو أن من بذر حبة أخرجت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة فصارت الواحدة سبعمائة."**([1])

و"ثمرة النَّفقة في سبيل الله إنَّما تظهر حقيقةً يوم البعث: ﴿يَوۡمَ تَجِدُ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ مِنۡ خَيۡرٖ مُّحۡضَرٗا﴾ [آل عمران: ٣٠]واستدعاء النَّفقة في سبيل الله مذكِّرٌ بالبعث، وحاضٌّ على اعتقاده، لأنه لو لم يعتقد وجوده لما كان ينفق في سبيل الله، وفي تمثيل النفقة بالحبَّة المذكورة إشارة أيضًا إلى البعث، وعظيم القدرة، إذ حبَّةٌ واحدة يخرج الله منها سَبعَمائة حبّة،

[1] – مفاتيح الغيب (٣٩/٧).

فمن كان قادرًا على مثل هذا الأمر العجاب، فهو قادر على إحياء الموات، ويجامع ما اشتركا فيه من التغذية والنموّ."([1])

والنصح والإرشاد والدعوة إلى الخير بعد عرض المشاهد الدالة على قدرته وعظمته سبحانه والتي من شأنها أنها تهيج الإيمان في القلب لا شك تفتح القلوب إلى الخير وترغب فيه أيما ترغيب

٧ – في الآيات بيان أن الأعمال الصالحة ينميها الله لأصحابها كما ينمي الزرع في الأرض الطيبة.

يقول ابن كثير –رحمه الله – ت (٧٧٤هـ): "وهذا المثل أبلغ في النّفوس من ذكر عدد السَّبعمائة، فإنَّ هذا فيه إشارة إلى أنَّ الأعمال الصالحة ينمّيها الله ﷻ لأصحابها، كما ينمّي الزَّرع لمن بذره في الأرض الطيِّبة، وقد وردت السُّنَّة بتضعيف الحسنة إلى سبعمائة ضعف.

من ذلك حديث مُسْلِمٍ – رحمه الله – ت(٢٦١هـ): "جاء رجل بناقة مخطومة فقال: يا رسول اللَّه، هذه في سبيل اللَّه، فقال: [لك بها يوم القيامة سَبْعُمائة ناقةٍ]"([2])

وحديث أحمد – رحمه الله – ت(٢٤١هـ): : عن عبد اللَّه بن مسعود ﷺ ، قال: قال رسول اللَّه ﷺ**[إن الله جعل حسنة ابن آدم إلى عشر أمثالها**

---

[1] – تفسير البحر المحيط، لأبي حيان(٣١٥/٢)، تحقيق: الشيخ /عادل أحمد عبد الموجود وآخرين، ط: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى (١٤١٣ هـ-١٩٩٣م).

[2] – أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب: فضل الصدقة في سبيل الله وتضعيفها، ص)٧٨٧)، ح رقم (١٨٩٢) .

إلى سبعِمائة ضعف إلَّا الصَّوم والصَّوم لي، وأنا أجزي به، وللصَّائم فرحتان: فرحة عند إفطاره، وفرحة يوم القيامة، ولَخُلُوف فم الصَّائم أطيب عند الله من ريح المسك]([1])"([2])

٨ – أنَّ المثل المضروب في الآية الأولى فيه ترغيب في المجاهدة بالنفس والمال لنصرة النبي ﷺ.

يقول الفخر الرازي – رحمه الله – ت(٦٠٦هـ): "أنَّه تعالى ضرب هذا المثل بعد أن احتجَّ على الكلّ بما يوجب تصديق النّبي ﷺ ليرغبوا في المجاهدة بالنَّفس والمال في نصرته وإعلاء شريعته."([3])

٩ – المقابلة في الآية الثانية بين المثل السلبي المضروب للمانِّ بنفقته في الآية السابقة وبين المثل الإيجابي المضروب في هذه الآية للمنفق ابتغاء مرضاة الله تعالى؛ لبيان ما بين الضدين من تفاوت وبون بعيد، وفي ذلك تربية على الإخلاص في الإنفاق وعدم المن والأذى .

يقول أبو حيان – رحمه الله – ت(٧٤٥هـ): "لما ضرب مَثَلَ مَن أنفق ماله رئاء الناس وهو غير مؤمن، ذكر ضدّه بتمثيل محسوس للذهن، حتى يتصوّر السامع تفاوت ما بين الضدّين، وهذا من بديع أساليب فصاحة القرآن. ولما وصف صاحب النفقة بوصفين ، قابل ذلك هنا

---

[1] – أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٧/٢٨٩، ٢٩٠)، ح رقم (٤٢٥٦)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرين، ط: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى (١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م).

[2] – ينظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/٦٨٩، ٦٩٠).

[3] – مفاتيح الغيب (٧/٣٩).

بوصفين ، فقوله : ﴿ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ ﴾ مقابل لقوله: ﴿ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ ﴾ وقوله: ﴿ وَتَثۡبِيتٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ ﴾مقابل لقوله: ﴿ وَلَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ ﴾؛ لأن المراد بالتثبيت توطين النفس على المحافظة عليه وترك ما يفسده ، ولا يكون إلاَّ عن يقين بالآخرة ."([1])

١٠ – أفاد ختام الآية الأولى ﴿ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ﴾ أن مضاعفته سبحانه للمنفقين من عباده على ما علم من نيَّاتهم " فهو يضاعف لأهل النفقة على قدر ما علمه من نياتهم، وفي ذلك إشارة إلى أن سعته قد أحاطت بجميع الكائنات، فهو جدير بالإثابة في الدارين ، وأن علمه قد شمل كل معلوم فلا يخشى أن يترك عملاً."([2])

١١ – المثل في الآية الثانية يربي في النفس المؤمنة المداومة على الإنفاق ابتغاء مرضات الله في كل وجوه البر، فمن فعل ذلك كان مثله مثل الجنة الدائمة العطاء.

ذكر ذلك البقاعي – رحمه الله– في تفسيره فقال: "ولما كان حرث الدنيا حباً وثمراً جعل نفقات الأخرى كذلك حباً وثمراً، فمن أنفق في السبيل جعل مثله كالحب، ومن أنفق ابتغاء لمرضاة الله جعل مثله كالجنة التي لها أصل ثابت تدور عليها الثمرات وهي ثابتة، وتستغني من الماء بما لا يستغني به الحرث؛ لأن الحرث مستجد في كل وقت، كما أن الجهاد واقع عند الحاجة إليه، والمنفق ابتغاء مرضاة الله ينفق في كل وجه دائم

---

[1] – تفسير البحر المحيط (٣٢٢/٢،٣٢٣).

[2] – نظم الدرر (٧٦/٤) .

الإنفاق، فكان مثله مثل الجنة الدائمة ليتطابق المثلان بالممثولين ، فعمت هذه النفقة جهات الإنفاق كلها في جميع سبل الخير."([1])

١٢ – أشار المثل المضروب في الآية الثانية إلى أن: "أهل هذا الصنف لا يتطرق إلى أعمالهم فساد، غايتها أن يطرقها النقص باعتبار ضعف النيات، ولذلك كان التقدير تسبيباً عن ذلك: فالله بما تستحقون على نياتكم عليم، فعطف عليه قوله : ﴿ وَٱللَّهُ ﴾ أي المحيط علماً وقدرة ﴿ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴾أي بما ظهر منه ﴿ بَصِيرٌ ﴾ كما هو كذلك بما بطن، فاجتهدوا في إحسان الظاهر والباطن"([2]) وفي ذلك حث وترغيب على إخلاص العمل لله، والإنفاق في سبيله بعيدًا عن الرياء والمظاهر. والله أعلم

الموضع الثالث : ضرب المثل للإيمان بالكلمة الطيبة:

يقول الله تعالى: ﴿ أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا كَلِمَةٗ طَيِّبَةٗ كَشَجَرَةٖ طَيِّبَةٍ أَصۡلُهَا ثَابِتٞ وَفَرۡعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ٢٤ تُؤۡتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ بِإِذۡنِ رَبِّهَاۗ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [إبراهيم: ٢٤ – ٢٥]

معنى الآيات: " ألم تر، يا محمد، بعين قلبك، فتعلم كيف مثَّل الله مثَلا وشبَّه شبَهًا ﴿ كَلِمَةٗ طَيِّبَةٗ ﴾ ، ويعني بالطيبة: الإيمانَ به جل ثناؤه،

---

[1] – نظم الدرر (٤/٨٣،٨٤).

[2] – نظم الدرر (٤/٨٥).

كشجرة طَيّبة الثمرة، وترك ذكر "الثمرة" استغناء بمعرفة السَّامعين عن ذكرها بذكر "الشَّجرة". أصلُ هذه الشجرة ثابتٌ في الأرض، "وفرعها"، وهو أعلاها في السماء، أي: مرتفع علُوًّا نحوَ السماء، تطعم ما يؤكل منها من ثمرها كلّ حين بأمرِ ربها .﴿ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ ، أي: ويمثِّل الله الأمثال للناس، ويشبّه لهم الأشباهَ ليتذكروا حُجَّة الله عليهم، فيعتبروا بها ويتعظوا، فينزجروا عما هم عليه من الكفر به إلى الإيمان."([1])

وذكر الطبري رحمه الله في المراد بالكلمة الطيبة قولين أحدهما : أن المراد بها كلمة الإيمان، وهي شهادة أن لا إله إلا الله . ثانيهما: أن المراد بها المؤمن ذاته يخرج منه القول الطيب ويصعد إلى السماء منه العمل الطيب، وضعَّف هذا القول الألوسي – رحمه الله –

وقيل: المراد بها القرآن، وقيل دعوة الإسلام، وقيل: التسبيح والتنزيه، وقيل: الثناء على الله تعالى مطلقا، وقيل: كل كلمة حسنة، وقيل: جميع الطاعات.

وذكر الطبري في الشجرة الطيبة أنها النخلة، وقيل شجرة في الجنة. والأول هو الراجح، لورود الخبر الصحيح في ذلك. فعن ابن عمر ﷺ قال: قال كنا عند النبي ﷺ فأتي بجمار فقال: (إن من الشجرة شجرة مثلها كمثل المسلم) . فأردت أن أقول هي النخلة، فإذا أنا أصغر القوم، فسكت، فقال النبي ﷺ(هي النخلة)([2])

---

[1] – جامع البيان (٢٤١/١٣).

[2] – ينظر جامع البيان (٢٤١/١٣–٢٤٥)، روح المعاني (٢٠١/٧،٢٠٢)، والحديث أخرجه البخاري في كتاب العلم، باب: الفهم في العلم،ص (٣٩)، ح رقم (٧٢)، ط: ==

الأثر المترتب على ضرب المثل للإيمان بالكلمة الطيبة:

١ – المثل هنا يربي في المؤمن حسن الكلام وصالح العمل، "فالكلمة الطيبة وهي (لا إله إلا الله) أَصْلُها ثابِتٌ في قلوب المؤمنين، وفضلها وما يصدر عنها من الأفعال الزكية والحسنة وما يتحصل من عفو الله ورحمته– هو فرعها يصعد إلى السماء من قبل العبد، ويتنزل بها من قبل الله تعالى.

وقيل إنما مثل الله بالشجرة الطيبة المؤمن نفسه، إذ الكلمة الطيبة لا تقع إلا منه، فكأن الكلام كلمة طيبة وقائلها. وكأن المؤمن ثابت في الأرض وأفعاله وأقواله صاعدة، فهو كشجرة فرعها في السماء، وما يكون أبدًا من المؤمن من الطاعة، أو عن الكلمة من الفضل والأجر والغفران هو بمثابة الأكل الذي تأتي به كل حين."([1])

٢ – المثل يربي في المؤمن أن يكون دائم العمل والطاعة؛ وذلك حيث شبه الله تعالى بالشجرة في أفضل أحوالها، "فالمشبَّه هو الهيئة الحاصلة من البهجة في الحسّ والفرح في النَّفس، وازدياد أصول النَّفع باكتساب المنافع المتتالية بهيئة رسوخ الأصل، وجمال المنظر، ونماء أغصان الأشجار. ووفرة الثّمار، ومُتعة أكلها. وكلُّ جزءٍ من أجزاء إحدى الهيئتين يقابله الجزء الآخر من الهيئة الأخرى، وَذلك أكمل أحوال التَّمثيل

==

بيت الأفكار الدولية، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م ، ومسلم في صحيحه، كتاب الجنة والنار، باب: مثل المؤمن مثل النخلة، ص(١١٣٠)، ح رقم (٢٨١١).

[1] – المحرر الوجيز ، (٣/٣٣٥).

أن يكون قابلًا لجمع التَّشبيه وتفريقه."([1])، "وهكذا يُشْبهها المؤمن الذي هو في جميع أيامه في عمل، أو الكلمة التي أجرها والصادر عنها من الأعمال مستمر، فيشبه أن قول الله تعالى إنما شبه المؤمن أو الكلمة بالشجرة في حال إثمارها إذ تلك أفضل أحوالها، وإن فرضنا التشبيه بها على الإطلاق. وهي إنما تؤتي في وقت دون وقت، فالمعنى كشجرة لا تخل بما جعلت له من الإتيان بالأكل في الأوقات المعلومة، فكذلك هذا المؤمن لا يخل بما يسر له من الأعمال الصالحة، أو الكلمة التي لا تَغِبُّ بركتها والأعمال الصادرة عنها، بل هي في حفظ النظام كالشجرة الطيبة في حفظ وقتها المعلوم."([2])

٢- "وصف الشجرة المشبه بها بكونها طيبة يحتمل كونها طيبة المنظر والصورة والشكل، ويحتمل كونها طيبة الرائحة، ويحتمل كونها طيبة الثمرة يعني أن الفواكه المتولدة منها تكون لذيذة مستطابة، ويحتمل كونها طيبة بحسب المنفعة يعني أنها كما يستلذ بأكلها فكذلك يعظم الانتفاع بها، ويجب حمل قوله: ﴿ كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ ﴾ على مجموع هذه الوجوه لأن اجتماعها يُحَصِّل كمال الطِّيب."([3])

فعلى كون المراد بالكلمة الطيبة قول [لا إله إلا الله] فهي كذلك كلمة طيِّبة في نفسها وفي ثمرتها من الأقوال الأفعال المترتبة عليها.

---

[1] - التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٢٤/١٢)، ط: الدار التونسية للنشر - تونس (١٩٨٤هـ).

[2] - المحرر الوجيز (٣٣٦/٣).

[3] - مفاتيح الغيب (٨٩/١٩) بتصرف يسير .

وعلى كون المراد بالكلمة الطيبة [المؤمن] فهكذا ينبغي أن يكون المؤمن الحق، طيب المنظر، طيب الكلام والفعال، لا يقول إلا طيبًا ولا يعمل إلا طيبًا .

٣ – وصف الشجرة بقوله ﴿ أَصۡلُهَا ثَابِتٌ ﴾ فعلى كون المراد بالكلمة الطيبة قول [لا إله إلا الله] فهو إشارة إلى ثبات المؤمن الحق على كلمة التوحيد، لا يزعزعه شيء .

وعلى كون المراد بالكلمة الطيبة [المؤمن] فهو إشارة إلى المؤمن في ثبات إيمانه ورسوخ عقيدته.

وبذلك يكمل فرح المؤمن بثباته على كلمة التوحيد ورسوخ عقيدته رسوخًا لا تزعزعه الشُبه والأهواء؛ " لأن الشيء الطيب إذا كان في معرض الانقراض والانقضاء فهو وإن كان يحصل الفرح بسبب وجدانه إلا أنه يعظم الحزن بسبب الخوف من زواله وانقضائه، أما إذا علم من حاله أنه باق دائم لا يزول ولا ينقضي فإنه يعظم الفرح بوجدانه ويكمل السرور بسبب الفوز به."([1])

٤ – وصف الشجرة بقوله: ﴿ وَفَرۡعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ "يدل على كمال حال تلك الشجرة من وجهين: الأول: أن ارتفاع الأغصان وقوتها في التصاعد يدل على ثبات الأصل ورسوخ العروق. والثاني: أنها متى كانت

[1] – مفاتيح الغيب (٨٩/١٩).

متصاعدة مرتفعة كانت بعيدة عن عفونات الأرض وقاذورات الأبنية فكانت ثمراتها نقية ظاهرة طيبة عن جميع الشوائب."([1])

وكذلك يكون المؤمن نقيًا ظاهرًا وباطنًا، مترفعًا عن سفاسف الأمور، لا يطأ موطن الشبهات، ولا يفعل المنكرات .

٥ – وصف الشجرة بقوله: ﴿ تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَاۗ ﴾ أفاد "أن ثمرتها لا بد أن تكون حاضرة دائمة في كل الأوقات، ولا تكون مثل الأشجار التي يكون ثمارها حاضراً في بعض الأوقات دون بعض، فهذا شرح هذه الشجرة التي ذكرها الله تعالى في هذا الكتاب الكريم، ومن المعلوم بالضرورة أن الرغبة في تحصيل مثل هذه الشجرة يجب أن تكون عظيمة، وأن العاقل متى أمكنه تحصيلها وتملكها فإنه لا يجوز له أن يتغافل عنها وأن يتساهل في الفوز بها"([2]) فالمسلم حريص كل الحرص على تحصيل هذه الثمار الحاضرة في كل الأوقات، النافعة على الدوام . والله أعلم

٦ – هذا المثل يغرس في نفس المؤمن "أن معرفة الله تعالى والاستغراق في محبته وفي خدمته وطاعته تشبه هذه الشجرة في هذه الصفات الأربع، أما كونها طيبة فحصول الطيب واللذة لا يكون حقيقة إلا بمعرفة الله تعالى، وتلك المعرفة هي الملائمة تلك لجوهر النفس، بخلاف اللذة الحاصلة من تناول الفاكهة والطعام مثلًا فملائمتها تكون للبدن، وشتان بين الملائم للبدن والملائم للروح وجوهر النفس.

---

[1] – مفاتيح الغيب (١٩/٩٠).

[2] – مفاتيح الغيب (١٩/٩٠).

وأما كون هذه الشجرة ثابتة الأصل فهذه الصفة في شجرة معرفة الله تعالى أقوى وأكمل، وذلك لأن عروق هذه الشجرة راسخة في جوهر النفس القدسية وهذا الجوهر جوهر مجرد عن الكون والفساد بعيد عن التغير والفناء، وأيضًا مدد هذا الرسوخ إنما هو من تجلي جلال الله تعالى، وهذا التجلي من لوازم كونه سبحانه في ذاته نور النور ومبدأ الظهور وذلك مما يمتنع عقلاً زواله؛ لأنه سبحانه واجب الوجود لذاته وواجب الوجود في جميع صفاته والتغير والفناء والتبدل والزوال والبخل والمنع محال في حقه فثبت أن الشجرة الموصوفة بكونها ثابتة الأصل ليست إلا هذه الشجرة.

وأما كون هذه الشجرة بحيث يكون فرعها في السماء فاعلم أن شجرة المعرفة لها أغصان صاعدة في هواء العالم الإلهي وأغصان صاعدة في هواء العالم الجسماني.

وأما النوع الأول فيدخل فيه التأمل في دلائل معرفة الله تعالى في عالم الأرواح وفي عالم الأجسام وفي أحوال عالم الأفلاك والكواكب وفي أحوال العالم السفلي، ويدخل فيه محبة الله تعالى والشوق إلى الله تعالى والمواظبة على ذكر الله تعالى والاعتماد بالكلية على الله تعالى والانقطاع بالكلية عما سوى الله تعالى والاستقصاء في ذكر هذه الأقسام غير مطموع فيه لأنها أحوال غير متناهية.

وأما النوع الثاني فيدخل فيه الرحمة والرأفة والصفح والتجاوز عن الذنوب والسعي في إيصال الخير إليهم ودفع الشر عنهم ومقابلة الإساءة بالإحسان وهذه الأقسام أيضاً غير متناهية وهي فروع ثابتة من شجرة

معرفة الله تعالى فإن الإنسان كلما كان أكثر توغلاً في معرفة الله تعالى كانت هذه الأحوال عنده أكمل وأقوى وأفضل.

وأما كونها تُؤتي أكلها كل حين بإذن ربها فهذه الشجرة أولى بهذه الصفة من الأشجار الجسمانية؛ لأن شجرة المعرفة موجبة لهذه الأحوال ومؤثرة في حصولها والسبب لا ينفك عن المسبب فأثر رسوخ شجرة المعرفة في أرض القلب أن يكون نَظَرُه بالعبرة، وسماعه بالحكمة، ونطقه بالصدق والصواب، وهذا الإنسان كلما كان رسوخ شجرة المعرفة في أرض قلبه أقوى وأكمل كان ظهور هذه الآثار عنده أكثر، وربما توغل في هذا الباب فيصير بحيث كلما لاحظ شيئًا لاحظ الحق فيه، وربما عظم ترقيه فيه فيصير لا يرى شيئًا إلا وقد كان قد رأى الله تعالى قبله، وما ذكرناه إشارة إلى الإلهامات النفسانية والملكات الروحانية التي تحصل في جواهر الأرواح ثم لا يزال يصعد منها في كل حين ولحظة ولمحة كلام طيب وعمل صالح وخضوع وخشوع وبكاء وتذلل كثمرة هذه الشجرة.

فظهر بهذا التقرير والبيان أن هذا المثال الذي ذكره الله تعالى في هذا الكتاب مثال هادٍ إلى عالم القدس وحضرة الجلال وسرادقات الكبرياء، فنسأل الله تعالى مزيد الاهتداء والرحمة إنه سميع مجيب "[1]

٧ – لا تتحقق صورة تمثيل المؤمن – على القول بأن المراد بالكلمة الطيبة المؤمن نفسه – بالشجرة الطيبة إلا إذا كان طيبًا كالشجرة المشبه بها، وإلا "فكما أن الشجرة شجرة وإن لم تكن حاملاً للثمر فالمؤمن مؤمن

[1] – مفاتيح الغيب (١٩/٩٠-٩٢) باختصار .

وإن لم يكن عاملاً، ولكن الأشجار لا تراد إلا للثمار فما أقوات النار إلا من الأشجار إذا اعتادت الإخفار في عهد الاثمار"([1])

فالمثل يربي في المؤمن أنه مالم يكن طيبًا نافعًا كالشجرة الطيبة النافعة الضاربة بجذورها في أعماق الأرض المرتفعة أغصانها إلى عنان السماء فلا قيمة له، "وكما أن الشجرة لا تتم إلا بعرق راسخ وأصل قائم وفروع عالية ، فكذلك الإيمان لا يتم إلا بمعرفة القلب وقول اللسان وعمل الأركان"([2])

٨ – المثل يربي في المؤمن أنه لا يثبت على إيمانه ولا يستقيم على طاعته إلا بإذن ربه، ومتى ثبَّته ربه على إيمانه وطاعته لا يستطيع أحد أن يزحزحه، يقول الإمام البقاعي –رحمه الله – "و"ما كان الشيء لا يكمل إلا بكمال مربيه قال: ﴿ بِإِذۡنِ رَبِّهَاۗ ﴾ فهي بحيث لا يستجيز عاقل أن يتسبب في إفسادها ، ومن سعى في ذلك منعه أهل العقول ولو وصلوا إلى بذل النفوس."([3]).

٩ – التنبيه على ضَرْب المثل بقوله: " ﴿ أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا ﴾ لإيقاظ الذهن ليترقب ما بعد هذا الكلام، ولم يكن المثل مما سبق ضربه قبل نزول الآية، وإنما هو من باب التشويق إلى علم هذا المثل،

---

[1] – تفسير النسفي (١٧١/٢)، تحقيق: يوسف علي بديوي، ط: دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى (١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م).

[2] – نظم الدرر (٤١٣/١٠) .

[3] – نظم الدرر (٤١٢/١٠) .

وَصَوْغُ التَّشويق إليه في صيغة الزَّمن الماضي الدَّالِّ عليها حرف لَمْ التي هي لنفي الفعل في الزَّمن الماضي والدَّالِّ عليها فعل ضرب بصيغة الماضي لقصد الزّيادة في التَّشويق لمعرفة هذا المثل وما مُثِّل به.

وإيثار كيف هنا للدَّلالة على أنَّ حالة ضرب هذا المثل ذات كيفيَّة عجيبة من بلاغته وانطباقه."([1])

وفي ذلك تنبيه على أهمية المثل المضروب ووقعه على النفس حُسْنًا وجمالًا وطاعة وامتثالًا.

[1] – التحرير والتنوير (٢٢٣/١٣).

المبحث الثاني: المَثل السلبي في القرآن الكريم وأثره في تربية النفوس

الموضع الأول : ضرب المثل للنفاق وأهله .

الموضع الثاني : ضرب المثل للمبطلين صدقاتهم.

الموضع الثالث: ضرب المثل للكفر بالكلمة الخبيثة.

الموضع الرابع: ضرب المثل لمن اتخذ وليًا من دون الله ببيت العنكبوت.

المبحث الثاني

المثل السلبي في القرآن الكريم وأثره في تربية النفوس

الموضع الأول : ضرب المثل للنفاق وأهله

يقول الله تعالى: ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ ﴾ [البقرة: ١٧ – ٢٠]

معنى الآيات :

"مَثَلُ استضاءة المنافقين بما أظهروه من الإقرار بالله وبمحمد ﷺ وبما جاء به، قولا وهُم به مكذبون اعتقادًا، كمثَل استضاءة المُوقِد نارًا. ثم أسقط ذكر الاستضاءة، – وإنما جاز **تمثيلُ الجماعة من المنافقين بالمستوقِدِ الواحد؛ لأن المرادَ من الخبر عن مَثَل المنافقين، الخبرُ عن مَثَل استضاءتهم بما أظهروا بألسنتهم من الإقرار وهم لغيره مستبطنون من اعتقاداتهم الرَّديئة، وخلطهم نفاقَهم الباطن بالإقرار بالإيمان الظاهر– والاستضاءَةُ وإن اختلفت أشخاص أهلها معنًى واحد، لا معانٍ مختلفة. فالمثل لها في معنى المثَل للشخص الواحد من الأشياء المختلفة الأشخاص–.**

حتى إذا ارتفق بضيائها، وأبصرَ ما حوله مُستضيئًا بنوره من الظلمة، خَمدت النارُ وانطفأت، فذهب نورُه، وعاد المستضيء به في ظلمة وَحيْرة.

وذلك أن المنافق لم يزل مستضيئًا بضوء القول الذي دَافع عنه في حَياته القتلَ والسِّباءَ، مع استبطانه ما كان مستوجبًا به القتلَ وسلبَ المال لو أظهره بلسانه – تُخيِّل إليه بذلك نفْسُه أنه بالله ورسوله والمؤمنين مستهزئ مخادعٌ، حتى سوّلت له نفسُه – إذْ وَرَد على ربه في الآخرة – أنه ناج منه بمثل الذي نجا به في الدنيا من الكذب والنفاق. ظنًّا من القوم أن نجاتهم من عذاب الله في الآخرة، في مثل الذي كان به نجاؤهم من القتل والسباء وسلب المال في الدنيا من الكذب والإفك، وأنّ خداعهم نافعُهم هنالك نفعَه إياهم في الدنيا، حتى عايَنوا من أمر الله ما أيقنوا به أنهم كانوا من ظنونهم في غرور وضلال، واستهزاء بأنفسهم وخداع، إذْ أطفأ الله نورَهم يوم القيامة، فاستنظروا المؤمنين ليقتبسوا من نورهم فقيل لهم: ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورًا واصلوْا سَعيرًا. فذلك حينَ ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون، كما انطفأت نار المستوقِدِ النارَ بعد إضاءتها له، فبقي في ظلمته حيرانَ تائهًا.

ومَثَلُ استضاءَةِ المنافقين بضوء إقرارهم بالإسلام، مع استسرارهم الكفر، مَثلُ إضاءة موقد نارٍ بضوء ناره، على ما وصف جل ثناؤه من صفته، أو كمثل مَطرٍ مُظلمٍ وَدْقُه تحدَّر من السماء ، تحمله مُزنة ظلماء في ليلة مُظلمة. وذلك هو الظلمات التي أخبر الله جل ثناؤه أنها فيه."([1])

---

[1] – جامع البيان (١/١٦١-١٧١).

وقال ابن كثير – رحمه الله– " هذا مثل آخر ضربه الله تعالى لضرب آخر من المنافقين ، وهم قوم يظهر لهم الحق تارة ، ويشكُّون تارة أخرى ، فقلوبهم في حال شكهم وكفرهم وترددهم ، كمطر نزل من السماء في حال ظلمات ، وهي الشكوك ، والكفر والنفاق ، ورعد ، وهو ما يزعج القلوب من الخوف، فإنَّ شأن المنافقين الخوف الشديد والفزع، والبرق هو ما يلمع في قلوب هؤلاء الضرب من المنافقين في بعض الأحيان، من نور الإيمان، ولهذا قال : ﴿ يَجۡعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِۚ وَٱللَّهُ مُحِيطُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ ، أي لا يجدي عنهم حذرهم شيئًا ؛ لأنَّ الله محيط بهم بقدرته ، وهم تحت مشيئته وقدرته ."([1])

الأثر المترتب على ضرب المثل للنفاق والمنافقين

١ – هذان المثلان يعكسان الصورة السلبية التي يتلبس بها المنافقون من إظهارهم الإسلام واستبطانهم الكفر، فيعصمون دماءهم بإظهار الإسلام وهم لغيره معتقدون، ويبثون الفتن في كل زمان ومكان.

٢ – المثل المضروب أشار إلى منتهى التناقض الذي يعيشونه حين يظهرون الإسلام الذي هو الضياء – والضياء فرط الإنارة – ويبطنون الكفر الذي هو منتهى الظلمات وفي هذا التناقض الذي يعيشون به بين الناس من السلبية ما لا يخفى .

٣ – أشار المثل إلى تلونهم مع كل بما يناسبه، فيظهرون الإسلام بين المسلمين ليعصموا بذلك دماءهم وأموالهم، ويظهرون الكفر مع

[1] – تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/١٤٥) .

الكافرين ساخرين فرحين بما يصنعون، وفي هذا التلون من السلبية أيضًا ما لا يخفى، وما ينبغي أن يحذره العباد.

٤ – في المثل المضروب إشارة إلى خيبتهم وحيرتهم بعدما طفئت نارهم التي كانت أملهم في الضياء، فلا يرون طريقًا ولا يهتدون سبيلًا، والمعنى :"فلما أضاءت ما حوله خمدت فبقوا خابطين في ظلام متحيرين متحسرين على فوت الضوء خائبين بعد الكدح في إحياء النار"([1]) وكذلك حيرتهم أشد وسط صيب فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم في آذانهم من شدته خوفًا أن يتخطفهم الموت من شدة الصواعق، ولا حيرة أعظم من حيرتهم وتخبطهم في دينهم؛ لأن المتحير في دينه يخسر آخرته، "والتَّحيُّر فيمن كان في نور ثم زال عنه أشد من تحيُّرِ سالك الطريق في ظُلمة مستمرة"([2])، وأشار بقوله: ﴿ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ مع أن المطر لا يكون إلا من السماء إلى أنه "غمام مطبق آخذ بآفاق السماء"([3])، فهو محيط بهم يكاد يتخطفهم من شدة ما فيه من الصواعق. والله أعلم

٥ – أشار المثل المضروب إلى أن الظلمات التي صاروا إليها بعد الضياء الذي كانوا فيه ليس فيها بصيص نور، "فالظلمة عبارة عن عدم النور وانطماسه، وكيف جمعها، وكيف نكرها ونكر ما بعدها كانه قيل فيه ظلمات داجية ورعد قاصف وبرق خاطف، وكيف أَتْبَعَها ما يدل على أنها

---

[1] – الكشاف (١/١٩٢) .

[2] – مفاتيح الغيب (٢/٣١٢) .

[3] – الكشاف (١/٢٠٣) .

ظلمة مبهمة لا يتراءى فيها شبحان وهو قوله: ﴿لَّا يُبْصِرُونَ﴾"[1] ولذا قال ذهب الله بنورهم، ولم يقل ذهب الله بضوئهم، أي لم يبق لهم إلا الظلمات التي يتخبطون فيها. والله أعلم

٦ – سمى الله ﷻ إظهارهم الإيمان نورًا "لأنه لو ضمَّ إلى القول اعتقادًا له وعملًا به لأتمَّ النور لنفسه، ولكنَّه لمَّا لم يفعل لم يتمَّ نوره، وإنَّما سمَّى مجرَّد ذلك القول نورًا لأنَّه قولٌ حقٌّ في نفسه، ويجوز أن يكون استيقاد النَّار عبارةً عن إظهار المنافق كلمة الإيمان، وإنَّما سمَّاه نورًا لأنَّه يتزيَّن به ظاهره فيهم ويصير ممدوحًا بسببه فيما بينهم، ثم إن الله تعالى يذهب ذلك النُّور بهتك ستر المنافق بتعريف نبيِّه والمؤمنين حقيقة أمره فيظهر له اسم النفاق بدل ما يظهر منه من اسم الإيمان فبقي في ظلمات لا يبصر، إذ النور الذي كان له قبل قد كشف الله أمره فزال"[2]، وفي افتضاح أمرهم ما لا يخفى من السلبية التي يعيشون بها في مجتمعهم لبغض الناس لهم ونشرهم الفتن بين الناس .

٧ – لما عقَّب شراءهم الضلالة بالهدى بهذا التمثيل أشار بذلك إلى خسارة بيعهم؛ حيث اشتروا الضلالة التي هي أصل الظلمات بالنور الذي يضيء لهم في الدنيا والآخرة، وفي ذلك من سلبية خسران البيع ما لا يخفى على متأمل .

٨ – "يجوز أن يكون المستوقِد هاهنا مستوقِد نار لا يرضاها الله تعالى، والغرض تشبيه الفتنة التي حاول المنافقون إثارتها بهذه النار،

---

[1] – الكشاف (١/٢٠٤،١٩٣) .

[2] – مفاتيح الغيب (٢/٣١٣) .

فإن الفتنة التي كانوا يثيرونها كانت قليلة البقاء، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿كُلَّمَآ أَوۡقَدُواْ نَارٗا لِّلۡحَرۡبِ أَطۡفَأَهَا ٱللَّهُ﴾(١)(المائدة: ٦٤)، وفي فعلهم ما لا يرضاه الله، وإيقادهم نار الفتنة في المجتمع المسلم ما لا يخفى السلبية التي يتمتع بها هؤلاء المنافقون.

٩- وصفهم بأنهم صمٌ بكمٌ عميٌ مع أنهم في الحقيقة يسمعون وينطقون ويبصرون يدل على "شدة تمسكهم بالعناد، وإعراضهم عما يطرق سمعهم من القرآن، وما يظهره الرسول من الأدلة والآيات بمن هو أصم في الحقيقة فلا يسمع، وإذا لم يسمع لم يتمكن من الجواب، فلذلك جعله بمنزلة الأبكم، وإذا لم ينتفع بالأدلة ولم يبصر طريق الرشد فهو بمنزلة الأعمى، ولذا فهم لا يرجعون عما تقدم ذكره وهو التمسك بالنفاق الذي لأجل تمسكهم به وصفهم الله تعالى بهذ الصفات فصار ذلك دلالة على أنهم يستمرون على نفاقهم أبداً، أو أنهم لا يعودون إلى الهدى بعد أن باعوه وعن الضلالة بعد أن اشتروها، أو أنهم بمنزلة المتحيرين الذين بقوا خامدين في مكانهم لا يبرحون ولا يدرون أيتقدمون أم يتأخرون وكيف يرجعون إلى حيث ابتدأوا منه."(٢) وفي ذلك من سلبية استجابتهم وصم آذانهم عن الحق ما يجعلهم في أحط منزلة .

١٠ – أشارت الآيات إلى أن إيمان هؤلاء المنافقين إيمان لا قيمة له؛ وذلك حيث شبهه سبحانه بمطر فيه ظلمات ورعد وبرق وصواعق، "فالمطر وإن كان نافعاً إلا أنه لما وجد في هذه الصورة مع هذه الأحوال

---

١ – مفاتيح الغيب (٣١٣/٢).

٢ – مفاتيح الغيب (٣١٥/٢) .

الضارة صار النفع به زائلاً، فكذا إظهار الإيمان نافع للمنافق لو وافقه الباطن، فإذا فُقِد منه الإخلاص وحصل معه النفاق صار ضرراً في الدين."([1]) ، يشير إلى ذلك أيضًا المثل الأول، وذلك "**أنَّ المستضيء بالنار نوره من جهة غيره لا من جهة نفسه، فإذا ذهبت النَّار بقي في ظلمة، كذلك المنافق لمَّا أقرَّ بلسانه من غير اعتقاد قلبه كان نور إيمانه كالمستعار."**([2]) **وفي ذلك إشارة إلى ضرر وسلبية ما هم متلبسون به من الإيمان ظاهرًا وإن توهموا خلاف ذلك .**

١١ – ظَنُ المنافق أن النجاة في إظهار الإسلام وإن أبطن الكفر لا ينفعه ولا يخلصه من عقاب الله تعالى، شأنه في ذلك شأن من نزل به المطر مع الصواعق والبرق والرعد والظلمات فوضع أصابعه في أذنيه راجيًا بذلك النجاة مما هو فيه، والحقيقة أن ذلك لا ينجيه مما يريده الله به من موت وهلاك، فالمنافقون يظهرون ما ينفعهم والحقيقة بخلاف ما يظنون، فهم "وإن تخلصوا عن الموت في تلك الساعة فإن الموت والهلاك من ورائهم لا مخلص لهم منه، فكذلك حال المنافقين في أن الذي يخوضون فيه لا يخلصهم من عذاب النار"([3]).

١٢ – أشارت الآيات إلى أن المنافقين أصحاب مصالح شخصية، "﴿ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْاْ فِيهِ ﴾ فمتى حصل لهم شيء من المنافع وهي عصمة أموالهم ودمائهم وحصول الغنائم لهم فإنهم يرغبون في الدين،

---

[1] – مفاتيح الغيب (٣١٥/٢) .

[2] – تفسير البحر المحيط (٢٠٩/١).

[3] – مفاتيح الغيب (٣١٥/٢) .

﴿ وَإِذَآ أَظۡلَمَ عَلَيۡهِمۡ قَامُواْۚ ﴾ أي متى لم يجدوا شيئاً من تلك المنافع فحينئذٍ يكرهون الإيمان ولا يرغبون فيه"([1]) وهكذا شان المنافق في كل عصر يتلون حسبما تقتضيه مصالحه، فإن وجد نفعًا شخصيًا آمن ورضي، وإلا كان أول المعتذرين .

١٣ – يحتمل في قوله :﴿ صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ﴾ أن يكون أريد بذلك المبالغة في ذمّهم، وأنَّهم من الجهل والبلادة أسوأ حالًا من البهائم، وأشبه حالًا بالجمادات التي لا تسمع ولا تتكلَّم ولا تبصر. فمن عدم هذه المدارك الثَّلاثة كان من الذَّمّ في الرُّتبة القصوى، ولذلك لمَّا أراد إبراهيم، على نبيّنا وعليه السَّلام، المبالغة في ذمّ آلهة أبيه قال: ﴿ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ﴾([2])[مريم: ٤٢] ، وفي ذلك من سلبيتهم المنبعثة من جهلهم وغبائهم وبلادتهم ما لا يخفى .

١٤ – أشار المثل إلى أن محط حال المنافقين الباطل وأن الله ليس معهم، ولذا "عبر بالإضاءة أولًا إشارة إلى قوة أولهم وانمحاق آخرهم؛ لأن محط حالهم الباطل، والباطل له صولة ثم تضمحل عند من ثبت لها، ليتبين الصادق من الكاذب، وعبر بالذهاب به دون إذهابه ليدل نصًا على أنه سبحانه ليس معهم، وحقق ذلك بالتعبير عن صيرّ بترك، فقال: ﴿ وَتَرَكَهُمۡ فِي ظُلُمَٰتٖ ﴾ أي بالضلالة من قلوبهم وأبصارهم وليلهم، أي ظلمات

[1] – مفاتيح الغيب (٣١٥/٢)

[2] – تفسير البحر المحيط (٢١٦/١،٢١٧)

لاينفذ فيها بصر، فلذا كانت نتيجته ﴿ لَّا يُبْصِرُونَ ﴾ أي لا إبصار لهم أصلًا ببصر ولا بصيرة ."([1]) وفي ذلك من سلبيتهم بما تنطوي عليه سريرتهم من الباطل وبعدهم عن ربهم ما لا يخفى .

١٥ – المثل يبين حال المنافقين حين يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر وهو الشك في صحة اعتقادهم، " فعبَّر عما يحصل للمنافقين من الشَّك في صحَّة اعتقادهم بمشي السَّاري في ظلمة إذا أضاء له البرق، وعن إقلاعهم عن ذلك الشَّك حين رجوعهم إلى كفرهم بوقوف الماشي عند انقطاع البرق على طريقة التَّمثيل"([2]) والشاك في معتقده متحير متخبط في ظلام دائم .

١٦ – هذان المثلان يغرسان في النفس حب الإيمان وأهله، وكراهية النفاق وأهله، وفي ذلك ترغيب في إخلاص القول والعمل والاعتقاد، وترهيب من اتباع طرائق النفاق . والله أعلم

الموضع الثاني : ضرب المثل للمبطلين صدقاتهم

يقول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾ ﴾ [البقرة: ٢٦٤]

---

[1] – نظم الدرر (١/١١٩،١٢٠) .

[2] – التحرير والتنوير (١/٣١٩).

ويقول الله تعالى: ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ **[البقرة: ٢٦٦]**

معنى الآيات :

"يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله لا تبطلوا أجورَ صدَقاتكم بالمنّ والأذى، كما أبطل كُفْر الذي ينفق ماله رئاء الناس، وهو مراءاته إياهم بعمله، وذلك أن ينفق ماله فيما يرى الناسُ في الظاهر أنه يريد الله تعالى ذكره فيحمدونه عليه، وهو غيرُ مريدٍ به الله ولا طالب منه الثواب، وإنما ينفقه كذلك ظاهرًا ليحمده الناس عليه وهم لا يعلمون ما هو مستبطن من النية في إنفاقه ما أنفق، فلا يدرون ما هو عليه من التكذيب بالله تعالى ذكره واليوم الآخر.

وهذه صفة المنافق؛ لأن المظهرَ كفرَه والمعلنَ شركه، معلوم أنه لا يكون بشيء من أعماله مرائيًا؛ لأن المرائي هو الذي يرائي الناس بالعمل الذي هو في الظاهر لله، وفي الباطن عامله مرادُه به حمد الناس عليه، والكافر لا يُخِيلُ على أحدٍ أمرُه أن أفعاله كلها إنما هي للشيطان، إذا كان معلنًا كفرَه – لا لله، ومن كان كذلك، فغير كائن مرائيًا بأعماله.

فمثل هذا الذي ينفق ماله رئاء الناس، ولا يؤمن بالله واليوم الآخر كمثل صفوان ، والصفوان هو "الصفا"، وهي الحجارة الملس، على

الصفوان ترابٌ فأصاب الصفوان مطر شديد عظيم، فترك الوابلُ الصفوانَ صَلدًا.

و"الصلد" من الحجارة: الصلب الذي لا شيء عليه من نبات ولا غيره، فكذلك أعمالهم بمنزلة الصَّفوان الذي كان عليه تراب، فأصابه الوابلُ من المطر، فذهب بما عليه من التراب، فتركه نقيًّا لا تراب عليه ولا شيء، يراهُم المسلمون في الظاهر أنّ لهم أعمالا – كما يُرى التراب على هذا الصفوان – بما يراؤونهم به، فإذا كان يوم القيامة وصاروا إلى الله، اضمحلّ ذلك كله، لأنه لم يكن لله،

لا يقدر هؤلاء يوم القيامة على ثواب شيء مما كسبوا في الدنيا؛ لأنهم لم يعملوا لمعادهم، ولا لطلب ما عند الله في الآخرة، ولكنهم عملوه رئاء الناس وطلبَ حمدهم. وإنما حظهم من أعمالهم، ما أرادوه وطلبوه بها.

ثم أخبر تعالى ذكره أنه ﴿ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ أي لا يسدّدهم لإصابة الحق في نفقاتهم وغيرها، فيوفقهم لها، وهم للباطل عليها مؤثرون، ولكنه يتركهم في ضلالتهم يعمهون.

فقال تعالى ذكره للمؤمنين: لا تكونوا كالمنافقين الذين هذا المثل صفةُ أعمالهم، فتبطلوا أجور صدقاتكم بمنِّكم على من تصدقتم بها عليه

وأذاكم لهم، كما أبطل أجر نفقة المنافق الذي أنفق ماله رئاء الناس، وهو غير مؤمن بالله واليوم الآخر، عند الله."([1])

والآية الثانية "ضُربت مثلًا لنفقة المنافق التي ينفقها رياء الناس، لا ابتغاء مرضاة الله، فالناس –بما يظهر لهم من صدقته، وإعطائه لما يعطى وعمله الظاهر – يثنون عليه ويحمدونه بعمله ذلك أيام حياته في حسنه كحسن البستان وهي الجنة التي ضربها الله عز وجل لعمله مثلا من نخيل وأعناب، له فيها من كل الثمرات؛ لأن عمله ذلك الذي يعمله في الظاهر في الدنيا، له فيه من كل خير من عاجل الدنيا، يدفع به عن نفسه ودمه وماله وذريته، ويكتسب به المحمَدة وحسن الثناء عند الناس، ويأخذ به سهمه من المغنم مع أشياء كثيرة يكثر إحصاؤها، فله في ذلك من كل خير في الدنيا، كما وصف جل ثناؤه الجنة التي وصف مثلا لعمله، بأن فيها من كل الثمرات.

وأصاب صاحب الجنة الكبر وله ذرية ضعفاء أي صغارٌ أطفال، فأصاب جنته تلك إعصار فيه نار فأحرقها، في حال حاجته إليها، وضرورته إلى ثمرتها بكبره، وضعفه عن عمارتها، وفي حال صغر ولده وعجزه عن إحيائها والقيام عليها. فبقي لا شيء له، أحوج ما كان إلى جنته وثمارها، بالآفة التي أصابتها من الإعصار الذي فيه النار.

فكذلك المنفق ماله رياء الناس، أطفأ الله نوره، وأذهب بهاء عمله، وأحبط أجره حتى لقيه، وعاد إليه أحوج ما كان إلى عمله، حين لا

---

[1] – ينظر جامع البيان (٣/٧٨-٨٣) باختصار، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/٦٩٤،٦٩٣).

مُسْتَعْتَبَ لـه، ولا إقالـة من ذنوبـه ولا توبـة، واضمحل عملـه كما احترقت الجنة التي وصف جل ثناؤه صفتها عند كبر صاحبها وطفولة ذريته أحوجَ ما كان إليها فبطلت منافعها عنه.

﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْآيَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ أي: كما بيَّن لكم ربُّكم تبارك وتعالى أمَر النفقة في سبيله، وكيف وجْهُها، وما لكم وما ليس لكم فعله فيها، كذلك يبين لكم الآيات سوى ذلك، فيعرّفكم أحكامها وحلالها وحرامها، ويوضح لكم حُججها، إنعامًا منه بذلك عليكم؛ لتتفكروا بعقولكم، فتتدبّروا وتعتبروا بحجج الله فيها، وتعملوا بما فيها من أحكامها، فتطيعوا الله به."([1])

وقد ذكر ابن كثير– رحمه الله – رواية البخاري – رحمه الله – في تفسير الآية الثانية وهي أن " عمر ﷺ قال يومًا لأصحاب النبي ﷺ فيم ترون هذه الآية نزلت ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ ﴾ ؟ قالوا الله أعلم، فغضب عمر، فقال: قولوا نعلم أو لا نعلم، فقال ابن عباس: في نفسي منها شيء يا أمير المؤمنين، قال عمر: يا أخي قل ولا تحقر نفسك، قال ابن عباس: ضربت مثلا لعمل، قال عمر: أي عمل ؟ قال ابن عباس: لعمل، قال عمر: لرجل غني يعمل بطاعة الله ﷻ ثم بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى أغرق أعماله "([2])

---

[1] – ينظر جامع البيان (٣/٨٩-٩٦) باختصار .

[2] – أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب: قوله: ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ ﴾ ص (٨٥٨،٨٥٩)، ح رقم (٤٥٣٨).

ثم ذكر ابن كثير رواية أخرى عن ابن عباس ﷺ "أن هذا مثل ضربه الله للكافر له جنة فيها من كل الثمرات وأصابه الكبر وولده وذريته ضعاف عن آخر عمره، فجاء إعصار فأحرق بستانه، فلم يكن عنده قوة أن يغرس مثله، ولم يكن عند نسله خير يعودون به عليه، وكذلك الكافر يكون يوم القيامة إذا ردَّ إلى الله ﷻ ، ليس له خيرٌ فيستعتب، كما ليس لِهذا قوَّة فيغرس مثل بستانه، ولا يجده قدَّم لنفسه خيرًا يعود عليه، كما لم يُغن عن هذا ولده، وحُرِم أجره عند أفقر ما كان إليه، كما حرم هذا جنته عند ما كان أفقر ما كان إليها عند كِبَرِه وضَعف ذرِّيَّته."([1])

الأثر المترتب على ضرب المثل للمبطلين صدقاتهم:

١ – المثلان يحذران من أن تكون النفقة لغير الله؛ لأنها بذلك ستكون هباء منثورًا لا ينتفع بها صاحبها وهو أحوج ما يكون لها بين يدي الله تعالى، فالمرائي والكافر ينفقان لا يبتغيان بنفقتهما وجه الله تعالى، ولذا فنفقتهما سواء في كونها لا أجر لها ولا وزن لها عند الله تعالى .

٢ – المثل الثاني يصور حسرة المنفق لغير وجه الله؛ فإنه"إذا كان يوم القيامة وجدها محبَطَة فيتحسر عند ذلك حسرة من كانت له جنة من أبهى الجنان وأجمعها للثمار، فبلغ الكبر وله أولاد ضعاف، والجنة

[1] – ينظر تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم)٢/٥٢٤،٥٢٣)، تحقيق: أسعد محمد الطيب، ط: مكتبة نزار مصطفى الباز – المملكة العربية السعودية، الطبعة الثالثة (١٤١٩ هـ)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/٦٩٥).

معاشهم ومنتعشهم فهلكت بالصاعقة"([1]) فيتحسر ويندم ساعة لا ينفع الندم، ولا تجدي عنه الحسرة شيئًا.

٣ – تخصيص النخيل والأعناب في المثل الثاني لأن " النخيل والأعناب لما كانا أكرم الشجر وأكثرها منافع خصهما بالذكر، وجعل الجنة منهما وإن كانت محتوية على سائر الأشجار تغليبًا لهما على غيرهما، ثم أردفهما ذكر كل الثمرات"([2])، و" لأنَّهما أشرف الفواكه وأحسن الفواكه مناظر حين تكون باقية على أشجارها"([3]). ولا شك أن ذلك أشد حسرة وأعظم محنة وندامة حيث اشتملت الجنة على أكرم الشجر وأكثرها منافع ثم جاءت ريح فأهلكتها، فكذلك صاحب المال ينفق من ماله وهو محبوبه وغايته في الحياة ثم يأتي يوم القيامة حين يكون أحوج ما يكون إلى ثوابه فلا يجد منه شيئًا؛ لأنه ما أنفقه لوجه الله تعالى، فتشتد حسرته، وتَعْظُم محنته وندامته.

٤ – صور المثل من يؤذي الفقير بمنه وأذاه له بمن يرائي بنفقته الناس: "يحتمل أن يريد الكافر الظاهر الكفر، إذ قد ينفق ليقال جواد وليُثْنَى عليه بأنواع الثناء، ولغير ذلك، ويحتمل أن يريد المنافق الذي يظهر الإيمان"([4]) فلا فرق في إحباط ثواب الصدق بين المانِّ والمرائي والكافر؛ إذ الكل قد ضيع صدقته.

---

[1] – الكشاف (٤٩٧/١) .

[2] – الكشاف (٤٩٨/١)..

[3] – مفاتيح الغيب (٥١/٧).

[4] – المحرر الوجيز (٣٥٧/١).

٥ – تصوير صدقة المرائي بصفوان عليه تراب " فيظنه الظان أرضا منبتة طيبة، كما يظن قوم أن صدقة هذا المرائي لها قدر أو معنى، فإذا أصاب الصفوان وابل من المطر انكشف ذلك التراب، وبقي صلدًا فكذلك هذا المرئي إذا كان يوم القيامة وحصلت الأعمال انكشف سره، وظهر أنه لا قدر لصدقته ولا معنى، فالمن والأذى والرياء يكشف عن النية، فيبطل الصدقة كما يكشف الوابل الصفا فيذهب ما ظن أرضًا"(١)، فهو مُصَوَّر للناس بصورة والواقع بخلاف ذلك تمامًا.

٦– أفاد قوله ﴿ لَا يَقْدِرُونَ ﴾ أن "الذين ينفقون رئاء لا يقدرون على الانتفاع بثواب شيء من إنفاقهم ذلك وهو كسبهم"(٢)، وفي ذلك من التنفير عن المن والأذى والإنفاق رياء وابتغاء محمدة الناس ما لا يخفى.

٧ – النهي عن إبطال الصدقات بالمن والأذى يستوجب القول بالمعروف والإحسان للفقير على القول بأن المراد بالمن على الفقير وبالأذى للفقير، ويستوجب التواضع والانقطاع لله على قول ابن عباس: " لا تبطلوا صدقاتكم بالمنّ على الله بسبب صدقتكم، وبالأذى لذلك السَّائل، وقال الباقون: بالمنّ على الفقير، وبالأذى للفقير. وقول ابن عبَّاس رضي الله عنهما محتملٌ، لأنَّ الإنسان إذا أنفق متبجِّحًا بفعله، ولم يسلك طريقة التَّواضع والانقطاع إلى الله، والاعتراف بأنَّ ذلك من فضله وتوفيقه وإحسانه فكان كالمانّ على الله تعالى وإن كان القول الثَّاني أظهر له."(٣)

---

١ – المحرر الوجيز (٣٥٧/١، ٣٥٨).

٢ – المحرر الوجيز (٣٥٨/١).

٣ – مفاتيح الغيب (٤٦/٧).

٨ – في قوله ﴿ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ "تعريض بأن الرئاء والمن والأذى على الإنفاق من صفات الكفار ولا بد للمؤمن أن يتجنب عنها."([1]) وإلا كان مشابها لأهل الكفر في فعلهم .

٩ – "لتعظيم قبح المنّ أعاد الله ذلك في معارض الكلام، فأثنى على تاركه أوَّلًا، وفضَّل المنع على عطيَّة يتبعها المنُّ ثانيًا. وصرَّح بالنَّهي عنها ثالثًا، وخصَّ الصَّدقة بالنَّهي إذ كان المنُّ فيها أعظم وأشنع."([2])

ومثل هذا التقبيح ينأى بالمؤمن عن اقتراف مثل ذلك، فيُضَيِّعُ ثواب صدقته ويبقى صفر اليدين وقت احتياجه إلى حسنة تُنْجِيه من عذاب الله تعالى .

الموضع الثالث: ضرب المثل للكفر بالكلمة الخبيثة

يقول الله تعالى: ﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجۡتُثَّتۡ مِن فَوۡقِ ٱلۡأَرۡضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴾ [إبراهيم: ٢٦]

معنى الآية :

"ومثل الشِّركَ بالله وهي الكلمة الخبيثة، وقيل: كل كلمة قبيحة، كشجرة خبيثة، قيل هي الحنظل، وهو الأصح؛ لورود الخبر بذلك عن رسول الله ﷺ، وقيل هذا مثل ضربه الله، ولم تخلق هذه الشجرةُ على وجه

---

[1] – أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١٥٨/١)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الأولى (١٤١٨ هـ).

[2] – تفسير البحر المحيط (٣٢١/٢).

الأرض، وقيل: كل شجرة لا يطيب ثمرها . ﴿ ٱجۡتُثَّتۡ مِن فَوۡقِ ٱلۡأَرۡضِ ﴾ ، يقول: استُؤْصِلت ﴿ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴾ ، يقول: ما لهذه الشجرة من قَرار ولا أصل في الأرض تثْبُت عليه وتقوم. وإنما ضُرِبت هذه الشجرة التي وصَفها الله بهذه الصفة لكُفر الكافر وشركِه به مثلا. يقول: ليس لكُفر الكافر وعَمَله الذي هو معصيةُ الله في الأرض ثباتٌ، ولا له في السماء مَصْعَد، لأنه لا يَصْعَد إلى الله منه شيء."([1])

الأثر المترتب على ضرب المثل للكفر بالكلمة الخبيثة:

١ – التنفير من كلمة الكفر حيث إنها كلمة باطلة مضمحلة لا ثبات لها ولا قرار، ولا حجة تعضدها، ولا دليل يؤيدها، " وكذلك الكافر لا حجة له ولا ثبات ولا خير فيه ، وما يصعد له قول طيب ولا عمل صالح"([2]).

٢ – التمثيل بشجرة اجتثت أي اقتلعت واستؤصلت "حيث جثتها بنزع الأصول وبقيت في غاية الوهاء والضعف– لتقلبها أقل ريح. فالكافر يرى أن بيده شيئًا وهو لا يستقر ولا يغني عنه، كهذه الشجرة التي يظن بها على بعد أو للجهل بها أنها شيء نافع وهي خبيثة الجني غير باقية."([3]) وفي ذلك من سلبية الكفار حيث تمسكوا بما هو في غاية الضعف والوهن، حيث لا قرار له ولا ثبات .

---

[1] – ينظر جامع البيان (١٣/٢٥٠–٢٥٢)، الكشاف (٣/٣٧٨) .

[2] – الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٩/٣٦٢)، تحقيق : أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط : دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة الثانية (١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م).

[3] – المحرر الوجيز (٣/٣٣٦).

٣ – تشبيه الكلمة الخبيثة وهي كلمة الكفر على قول جمهور المفسرين؛ إذ هي أخبث الكلام ،بالشجرة الخبيثة التي لا ثبات لها ولا قرار على الأرض، كما أن كلمة الكفر لا قرار لها في قلب صاحبها يدل دلالة واضحة على خبث المستمسك بها؛ إذ المستمسك بالخبيث خبيث، وفي ذلك من السلبية ما لا يخفى .

٤ – المقابلة في المثل المضروب في الآية السابقة وهو مثل الكلمة الطيبة بالشجرة الطيبة، والمثل المضروب في هذه الآية بين ثبات الأصل هناك واجتثاثه هنا، وبين تطاول الفروع هناك إلى عنان السماء، وانعدامه هنا يدل دلالة واضحة لكل ذي عقل أن لا وجه للمقارنة بين الكلمتين أصلًا، فشتان بين كلمة راسخة في أعماق القلب ثابتة بالدليل والبرهان، وبين كلمة لا أصل لها ولا دليل عليها ولا برهان .

٥ – دل المثل على ضرر الكلمة الخبيثة حين شبهها بالكلمة الخبيثة المستأصلة من الأرض، "فكان من أنفع الأمور إعدامها والراحة من وجودها على أيّ حالة كانت؛ لأنه لا نفع لها بل وجودها ضار ولو بشغل الأرض، فكذلك الكلمة الخبيثة الباطلة لا بقاء لها أصلًا وإن علت وقتًا؛ لأن حجتها داحضة فجنودها منهزمة."([1])

[1] – نظم الدرر (١٠/٤١٤) .

الموضع الرابع: ضرب المثل لمن اتخذ وليًا من دون الله ببيت العنكبوت

يقول الله تعالى: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [العنكبوت: ٤١ – ٤٣]

معنى الآيات :

"مثل الذين اتخذوا الآلهة والأوثان من دون الله أولياء يرجون نَصْرها ونفعها عند حاجتهم إليها في ضعف احتيالهم، وقبح رواياتهم، وسوء اختيارهم لأنفسهم، كمثل العَنكبوت في ضعفها، وقلة احتيالها لنفسها، اتَّخذت بيتًا لنفسها، كيما يُكِنهَا، فلم يغن عنها شيئًا عند حاجتها إليه، فكذلك هؤلاء المشركون لم يغن عنهم حين نزل بهم أمر الله، وحلّ بهم سخطه أولياؤُهم الذين اتخذوهم من دون الله شيئا، ولم يدفعوا عنهم ما أحلّ الله بهم من سخطه بعبادتهم إياهم. وإن أضعف البيوت ﴿ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴾ أي: لو كان هؤلاء الذين اتخذوا من دون الله أولياء، يعلمون، أن أولياءهم الذين اتخذوهم من دون الله في قلة غنائهم عنهم، كغناء بيت العنكبوت عنها، لكنهم يجهلون ذلك، فيحسبون أنهم ينفعونهم ويقرّبونهم إلى الله زلفى.

إنَّ الله يعلم أيها القوم حال ما تعبدون من دونه ، وأن ذلك لا ينفعكم ولا يضرّكم، إن أراد الله بكم سوءا، ولا يغني عنكم شيئًا، وإن مثله في قلة غنائه عنكم، مَثَلُ بيت العنكبوت في غَنائه عنها.

والله العزيز في انتقامه ممن كفر به، وأشرك في عبادته معه غيره، فاتقوا أيها المشركون به عقابه بالإيمان به قبل نزوله بكم، كما نزل بالأمم الذين قصّ الله قصصهم في هذه السورة عليكم، فإنه إن نزل بكم عقابُه لم تغن عنكم أولياؤكم الذين اتخذتموهم من دونه أولياء، كما لم يُغْنِ عنهم من قبلكم أولياؤهم الذين اتخذوهم من دونه، الحكيم في تدبيره خلقه فمُهلك من استوجب الهلاك في الحال التي هلاكه صلاح، والمؤخر من أخَّر هلاكه من كفرة خلقه به إلى الحين الذي في هلاكه الصلاح.

وهذه الأمثال، وهي الأشباه والنظائر نمثلها ونشبهها ونحتجّ بها للناس، وما يعقل أنه أصيب بهذه الأمثال التي نضربها للناس منهم الصواب والحقّ فيما ضربت له مثلا إلا العالِمُون بالله وآياته." [1])

الأثر المترتب على ضرب المثل لمن اتخذ وليًا من دون الله ببيت العنكبوت:

١ – التنفير من عبادة حجارة لا تسمع ولا تبصر ولا تنفع ولا تضر وذلك حيث شبه "ما اتخذوه متكلًا ومعتمدًا في دينهم وتولوه من دون الله، بما هو مثل عند الناس في الوهن وضعف القوّة . وهو نسج العنكبوت"([2])، و"العنكَبوت تبني وتجتهد وأمرها كلها ضعيف متى مسته

[1] – جامع البيان (٢٠/١٧٧-١٧٩).

[2] – الكشاف (٤/٥٤٩) .

أدنى هابَّة أذهبته، فكذلك أمر أولئك وسعيهم مضمحل لا قوة له ولا معتمد"([1])، وفي اتكالهم واعتمادهم على ما هو غاية في الوهن والضعف من السلبية والجهل والحمق ما لا يخفى .

٢ – بيان أن دينهم أوهن الأديان حيث شُبه بأوهن البيوت وهو بيت العنكبوت، فـ" تشبيه ما اعتمدوه في دينهم ببيت العنكبوت، وقد صح أن أوهن البيوت بيت العنكبوت، تبين أن دينهم أوهن الأديان لو كانوا يعملون، أو أخرج الكلام بعد تصحيح التشبيه مخرج المجاز ، فكأنه قال : وإن أوهن ما يعتمد عليه في الدين عبادة الأوثان لو كانوا يعلمون. "([2])، وقد أشار لفظ (اتخذوا) و(اتخذت) في الآية الكريمة إلى أن العنكبوت " تكلفت أخذه في صنعتها له ليقيها الردى ، ويحميها البلا ، كما تكلف هؤلاء اصطناع أربابهم لينفعوهم ويحفظوهم بزعمهم ويرفعوهم، فكان ذلك البيت مع تكلفها في أمره ، وتعبها الشديد في شأنه ، في غاية الوهن، ولما كان حالها في صنعها حال من ينكر وهنه، قال مؤكدًا : ﴿ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ ﴾ أي والحال أن أوهن البيوت أي أضعفها ﴿ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ﴾ التي عانت في حوكه ما عانت وقاست في نسجه ما قاست، لأنه لا يكنّ من حر ، ولا يصون من برد ، ولا يحصن عن طالب ، كذلك ما اتخذ هؤلاء من هذه الأوثان ، وهذا الدين الذي لا أصل له فهو أوهن الأديان وأهونها."([3])

---

[1] – المحرر الوجيز (٣١٨/٤).

[2] – الكشاف (٥٤٩/٤) بتصرف يسير .

[3] – نظم الدرر (٢٤٣/١٤، ٢٤٢) .

فأضعف الأديان عبادة الأوثان لو كانوا يعلمون .

٣ – في المثل المضروب "تجهيل لهم حيث عبدوا ما ليس بشيء ؛ لأنه جماد ليس معه مصحح العلم والقدرة أصلًا ، وتركوا عبادة القادر القاهر على كل شيء ، الحكيم الذي لا يفعل شيئًا إلا بحكمة وتدبير."([1]) ولا شك أن ترك عبادة القادر القاهر والحكيم وعبادة ما ليس بشيء أصلًا فيه من الغباوة والسفه والحمق ما لا يخفى .

٤ – بينت الآيات أن الأمثال المضروبة "لا يعقل صحتها وحسنها وفائدتها إلا العالمون؛ لأنّ الأمثال والتشبيهات إنما هي الطرق إلى المعاني المحتجبة في الأستار حتى تبرزها وتكشف عنها وتصوّرها للأفهام، كما صوّر هذا التشبيه الفرق بين حال المشرك وحال الموحد، فلا اعتبار لما قاله الجهلة والسفهاء من قريش حيث قالوا: إن ربّ محمد يضرب المثل بالذباب والعنكبوت ، ويضحكون من ذلك، فلذلك قال تعالى: ﴿ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾"([2])

٥ – شبه الله تعالى اتخاذ ولي من دونه باتخاذ العنكبوت نسجها بيتًا ولم يشبهه بنَسْج العنكبوت في حد ذاته؛ لأن نسج العنكبوت فيه منفعة للعنكبوت وهو اصطياد الذباب، أما من حيث اتخاذه بيتًا فهو معدوم الفائدة من هذه الجهة؛ إذ شأن البيت أن يُستَظَل به من الشمس والحر، وأن يُتقى به البرد والشتاء، وذلك غير موجود، فالحاصل أن لا فائدة باتخاذ العنكبوت نسجها بيتًا وإن كان في النسج نفسه منفعة حاصلة

---

[1] – الكشاف (٤/٥٥٠) .

[2] – الكشاف (٤/٥٥٠).

للعنكبوت، فكذلك اتخاذ الولي من دون الله حتى في الشرك الخفي وهو الرياء لا فائدة منه لا في الدنيا ولا في الآخر، وبالتالي فهو معدوم الفائدة، لا ينفع ولا يضر، فاتخاذه وليًا باطل([1]) .

٦ – في المثل المضروب إشارة إلى أعظم أنواع ظلم أولئك المُهْلَكين الظالمين أنفسهم بعبادتهم غير الله واتخاذهم أولياء من دونه سبحانه([2]).

٧ – جاء ضرب هذا المثل عقيب الإخبار عن هلاك الأمم السابقة فمنهم أُهلِك بالريح، ومنهم من أُهلِك بالصيحة، ومنهم من أُهلِك بالخسف، ومنهم من أهلك بالغرق، وفي ذلك إشارة إلى أن بيت العنكبوت كما لا يدفع عن بانيه بردًا ولا حرًا ولا هلاكًا، فكذلك الأصنام التي تعبدونها من دون الله لن تغني عنكم أيها الكفرة من عذاب الله شيئًا .

فأي تحقير بعد ذلك؟؟ وأي تنفير بعد هذا من اتخاذ غيره تعالى وليًا؟؟

---

[1] – ينظر مفاتيح الغيب (٥٨/٢٥)، تفسير البحر المحيط (١٤٨،١٤٩/٧).

[2] – ينظر روح المعاني (٣٦٤/١٠).

خاتمة

أهم النتائج والتوصيات

وبعد فإني أتوجه بالحمد والثناء لله رب العالمين الذي يسر وأعان على إتمام هذه الدراسة المتعلقة بكتاب الله ﷻ ، وأسأله سبحانه أنْ تكون دراسة نافعة لي في حياتي وبعد مماتي ، وبعد أنْ عشت مع هذا البحث ، تبين لي من خلال تلك الدراسة **النتائج التالية** :

أولًا : الأمثال السلبية تقارب ضعف الأمثال الإيجابية في القرآن، وفي ذلك تحذير من هذه السلبيات، وترهيب لهذه الفئات السلبية لترك ما هم عليه، وترغيب لهم في الاستماع إلى دعوة القرآن والإيمان به وبرسول الله ﷺ وما جاء به من كتاب وسنة، والعاقل إذا سمع الأمثال بان له الحق .

ثانيًا: الأمثال الإيجابية المضروبة في القرآن الكريم وردت لتقريب ما غاب عن الإنسان وتصوير المثل في صورة المحسوس المشاهد كبعض السمعيات مثل الجنة وضرب المثل لنور الله تعالى، وكشأن الخلق وضرب المثل للحق والباطل ونحو ذلك .

ثالثًا: أكثر الأمثال السلبية المضروبة في القرآن الكريم وردت في شأن العقائد الفاسدة والأفعال السلبية المنتشرة في المجتمعات، وتصويرها في صورة المشاهد المحسوس للحد منها وتحذير العباد من ارتكابها .

رابعًا: ورد في بعض المواطن ذكر المثل الإيجابي وإردافه بنظيره السلبي أو العكس، وذلك ليقارن العقلاء بين هذا وذاك، ويقوموا بفعل ما ينفعهم عند ربهم.

التوصيات:

في الختام أوصي المهتمين بدراسة كتاب الله تعالى والبحث فيه بمزيد من البحث والدرس للدراسات التطبيقية في القرآن الكريم؛ لإبراز جوانب الإعجاز فيه، وحاجة المجتمع إلى الوقوف على أسرار وهدايات القرآن الكريم .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

فهرس الآيات القرآنية

رقم الآية	اسم السورة	الآية
١٧	البقرة	﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا ﴾
١٩	البقرة	﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾
٢٦	البقرة	﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ ﴾
٦٨	البقرة	﴿ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ﴾
٢٤٥	البقرة	﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ ﴾
٢٦١	البقرة	﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ ﴾
٢٦٤	البقرة	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ ﴾
٢٦٥	البقرة	﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ ﴾

٢٦٦	البقرة	﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ ﴾
٣٠	آل عمران	﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا ﴾
٦٤	المائدة	﴿ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ ﴾
٤٤	الأنعام	﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ ﴾
٣٩	يونس	﴿ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ ﴾
٤١	يوسف	﴿ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴾
٥١	يوسف	﴿ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ ﴾
٢٤	إبراهيم	﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً ﴾
٢٦	إبراهيم	﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ ﴾
٦٠	النحل	﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ ﴾
٢٩	الإسراء	﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ ﴾
١١٠	الإسراء	﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴾

٤٢	مريم	﴿ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ﴾
٧٣	الحج	﴿ ضُرِبَ مَثَلٞ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ ﴾
٦٧	الفرقان	﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ﴾
٤١– ٤٣	العنكبوت	﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلۡعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتۡ بَيۡتٗاۖ ﴾
٤٣	العنكبوت	﴿ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِۖ وَمَا يَعۡقِلُهَآ إِلَّا ٱلۡعَٰلِمُونَ ﴾
٤٣	فاطر	﴿ وَلَا يَحِيقُ ٱلۡمَكۡرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهۡلِهِۦۚ ﴾
٢٧	الزمر	﴿ وَلَقَدۡ ضَرَبۡنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٖ لَّعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴾
٥٦	الزخرف	﴿ فَجَعَلۡنَٰهُمۡ سَلَفٗا وَمَثَلٗا لِّلۡأٓخِرِينَ ﴾
٥٩	الزخرف	﴿ وَجَعَلۡنَٰهُ مَثَلٗا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴾
١١	الأحقاف	﴿ وَإِذۡ لَمۡ يَهۡتَدُواْ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفۡكٞ قَدِيمٞ ﴾

١٥	محمد	﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ ﴾
٢٩	الفتح	﴿ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ ﴾
٥٨	النجم	﴿ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴾
٥	الجمعة	﴿ كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ ﴾

المراجع

١ – أبجديات البحث في العلوم الشرعية للدكتور فريد الأنصاري ، ط: الدار البيضاء ، الطبعة الأولى (١٤١٧هـ) .

٢ الإتقان ف علوم القرآن للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي الشافعي المتوفى سنة (١٩١١هـ)، ط. دار عالم المعرفة، بدون تاريخ.

٣ – الأصلان في علوم القرآن للدكتور محمد عبد المنعم القيعي رحمه الله، تحقيق الدكتور/ محمد سالم محمد، الطبعة الرابعة (١٤١٧هـ-١٩٩٦م)، بدون بيانات طبع .

٤ – أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي لناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الأولى (١٤١٨ هـ).

٥ – البرهان في علوم القرآن لأبي عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، الطبعة الأولى (١٣٧٦ هـ – ١٩٥٧ م).

٦ – بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز لمجد الدين أبي طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، ط: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

٧ – تاج العروس من جواهر القاموس لمحمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبي الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين، ط: دار الهداية.

٨ – تحرير القواعد المنطقية في شرح الرسالة الشمسية لقطب الدين محمود بن محمد الرازي، المتوفى سنة(٧٦٦هـ) ، ط: دار الكتب العلمية، بدون تاريخ .

٩ – التحرير والتنوير المسمى «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ)، ط: الدار التونسية للنشر – تونس (١٩٨٤هـ)

١٠ – تفسير البحر المحيط، لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، تحقيق: الشيخ /عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ/ علي محمد معوض وآخرين، ط: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى (١٤١٣ هـ-١٩٩٣م).

١١ – تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) المؤلف: محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: ١٣٥٤هـ)، ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط: (١٩٩٠ م).

١٢ – تفسير القرآن العظيم لأبي محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى:

٣٢٧هـ)، تحقيق: أسعد محمد الطيب، ط: مكتبة نزار مصطفى الباز – المملكة العربية السعودية، الطبعة الثالثة (١٤١٩ هـ)

١٣ – تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير (المتوفى: ٧٧٤هـ) ، تحقيق: د/ السيد محمد السيد وآخرين، ط دار الحديث (١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م).

١٤ – التفسير الكبير المسمى مفاتيح الغيب لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الثالثة (١٤٢٠ هـ)

١٥ – جامع البيان في تأويل آي القرآن المعروف بتفسير الطبري، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفى سنة(٣١٠هـ)، ضبط وتعليق: محمود شاكر، ط. دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى(١٤٢١هـ– ٢٠٠١م).

١٦ – الجامع لأحكام القرآن المعروف بتفسير القرطبي لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى : ٦٧١هـ)، تحقيق : أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط : دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة الثانية (١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م).

١٧ – الحكم والأمثال للماوردي ط داد الوطن بالمملكة العربية السعودية ، الطبعة الأولى (١٤٢٠هـ–١٩٩٩م)، تحقيق: الدكتور فؤاد عبد المنعم أحمد .

١٨ – روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لشهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، ط: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، (١٤١٥ هـ).

١٩ – زهرة الأكم في الأمثال والحكم للحسن بن مسعود بن محمد، أبو علي، نور الدين اليوسي (المتوفى: ١١٠٢هـ)، تحقيق: د محمد حجي، د محمد الأخضر، ط: الشركة الجديدة – دار الثقافة، الدار البيضاء – المغرب، الطبعة الأولى (١٤٠١ هـ – ١٩٨١ م).

٢٠ – سير أعلام النبلاء لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى : ٧٤٨هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، ط : مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة (١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م).

٢١ – شعب الإيمان للبيهقي أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، ط: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الطبعة الأولى(١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٣ م).

٢٢ – الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط: دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة الرابعة (١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م).

٢٣ – صحيح البخاري المسمى: لجامع الصحيح المختصر لمحمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، ط: بيت الأفكار الدولية، الطبعة الثالثة، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م .

٢٤ – صحيح مسلم المسمى المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، لمسلم بن الحجاج أبي الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، ط: بيت الأفكار الدولية.

٢٥ – العجاب في بيان الأسباب، لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، تحقيق: عبد الحكيم محمد الأنيس، ط: دار ابن الجوزي، بدون تاريخ .

٢٦ – عواصف الربيع لحسن عبد الرازق منصور ، ط: أمواج للنشر والتوزيع – عمان – الأردن، طبعة سنة (٢٠١٤م) .

٢٧ – في تاريخ الأدب الجاهلي لعلي الجندي، ط: مكتبة دار التراث، الطبعة الأولى(١٤١٢هـ – ١٩٩١م).

٢٨ – كتاب التعريفات لعلي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ)، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، ط: دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، الطبعة الأولى (١٤٠٣هـ –١٩٨٣م).

٢٩ – كتاب العين لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ)، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، ط: دار ومكتبة الهلال، بدون تاريخ .

٣٠ – الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، ط: مكتبة العبيكان، الطبعة الأولى (١٤١٨هـ-١٩٩٨م) .

٣١ – الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية لأيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبي البقاء الحنفي (المتوفى: ١٠٩٤هـ)، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري، ط: مؤسسة الرسالة – بيروت، بدون تاريخ.

٣٢ – اللآلئ الحسان في علوم القرآن للدكتور موسى شاهين، ط: دار الشروق، الطبعة الأولى (١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م).

٣٣ – لباب النقول في أسباب النزول لأبي الفضل جلال الدين عبد الرحمن أبي بكر السيوطي المتوفى س (٩١١هـ)، ضبطه وصححه: الأستاذ / أحمد عبد الشافي، ط: دار الكتب العلمية – بيروت- لبنان – بدون تاريخ .

٣٤ – لسان العرب لمحمد بن مكرم بن على، أبي الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ)،ط: دار صادر – بيروت، (الطبعة الثالثة – ١٤١٤ هـ).

٣٥ – المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى (١٤٢٢ هـ -٢٠٠١م) .

٣٦ – مدارك التنزيل وحقائق التأويل، المعروف بتفسير النسفي، لأبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: ٧١٠هـ)، تحقيق: يوسف علي بديوي، ط: دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة الأولى (١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م)

٣٧ – مسند الإمام أحمد بن حنبل لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرين، ط: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى (١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م).

٣٨ – معجم اللغة العربية المعاصرة للدكتور أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل، ط: عالم الكتب، الطبعة الأولى (١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م) .

٣٩ – معجم مقاييس اللغة لأحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط: دار الفكر، (١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م).

٤٠ – المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، ط: دار الدعوة .

٤١ – منهجية البحث العلمي وضوابطه في الإسلام للدكتور حلمي صابر ، ط : مكة المكرمة – رابطة العالم الإسلامي ، الطبعة الأولى (١٤١٨هـ) .

٤٢ – نظم الدرر في تناسب الآيات والسور لإبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ)، ط: دار الكتاب الإسلامي بالقاهرة – بدون تاريخ .

فهرس الموضوعات

م	الموضوع
١	مقدمة
٢	تمهيد
٣	أولًا: التعريف بمفردات البحث
٤	ثانيًا : أقسام المَثَل في القرآن
٥	ثالثًا : فوائد معرفة الأمثال
٦	المبحث الأول : المَثل الإيجابي في القرآن الكريم وأثره في تربية النفوس
٧	الموضع الأول: ضَرْبُ المثل بما يؤدي الغرض عظيمًا كان المثل المضروب أو حقيرًا .
٨	الموضع الثاني: ضرب المثل لمضاعفة أجر الإنفاق في سبيل الله.
٩	الموضع الثالث : ضرب المثل للإيمان بالكلمة الطيبة .
١٠	المبحث الثاني: المَثل السلبي في القرآن الكريم وأثره في تربية النفوس
١١	الموضع الأول : ضرب المثل للنفاق وأهله .

١٢	الموضع الثاني : ضرب المثل للمبطلين صدقاتهم.
١٣	الموضع الثالث: ضرب المثل للكفر بالكلمة الخبيثة.
١٤	الموضع الرابع: ضرب المثل لمن اتخذ وليًا من دون الله ببيت العنكبوت.
١٥	خاتمة
١٦	فهرس الآيات القرآنية
١٧	المراجع
١٨	فهرس الموضوعات